

المركز القومي للترجمة



المشروع القومي للترجمة

بوليفار

تأليف : خوسيه إنريكي رودو
ترجمة : محمود علي مكي



1124



هذا الكتاب هو إحدى الدراسات التاريخية التي خطها
قلم خوسيه إنريكي رودو، ويعتبر من أجمل صفحات
إنتاجه وأروعها. وكان رودو قد نشر هذه الدراسة للمرة
الأولى سنة ١٩٠٤م، ثم أعاد نشرها مع مجموعة أخرى
من الدراسات جعل عنوانها "شرفة بروسبيرو"، وهو
كتاب طبع أكثر من مرة، وإحدى طبعاته هي التي ظهرت
في مدريد (إسبانيا) سنة ١٩١٥م.

بوليڻ ڦار

المركز القومي للترجمة
المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ١١٢٤

- بوليفار

- خوسيه إنريكي رودو

- محمود على مكى

- الطبعة الأولى ١٩٧٢

- ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب :

Simón Bolívar

por : José Enrique Rodó

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة .

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

المركز القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة

بوليغار

تأليف : خوسيه إنريكي رودو

ترجمة : محمود علي مكي



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

رودو ، خوسيه إنريكي
بوليفار / تأليف : خوسيه إنريكي رودو ؛ ترجمة : محمود على مكى -
القاهرة : ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٧
١٢٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم (المشروع القومى للترجمة ، العدد ١١٢٤)
١ - بوليفار ، سيمون ١٧٨٣ - ١٨٣٠
٢ - السياسيون الأمريكيون .
(أ) مكى ، محمود على (مترجم) .
٩٢٣ ، ٣٨٧
(ب) العنوان
(ج) السلسلة .

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٨٥٠٧
الترقيم الدولى 8 - 294 - 437 - I.S.BN. 977
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز القومى للترجمة .



بوليفار

فهرس

الموضوع	صفحة
تقديم	٥
المقدمة . خوسيه انريكي رودو	١٣
بوليفار	٢٣
سيمون بوليفار فى سطور	٣٧
حواش	١١٧

خوسیه انریکی رودو
۱۸۷۱ - ۱۹۱۷

مقدمة

ولد خوسيه انريكي رودو (José Enrique Rodó) في مونتفيدو في ١٥ من يولية ١٨٧١ . وكان أبوه تاجرا غنيا متيسر الحال ، وان لم تمنعه تجارته وأعماله من الاهتمام بالثقافة والفكر . فقد كانت مكتبته الكبيرة المتنوعة من أول ما اثار في نفس ابنه الطفل حب الاستطلاع وشجعه على القراءة والاقبال على الاطلاع .

وتعلم رودو القراءة والكتابة وهو في الرابعة من عمره ، وزوده أبوه منذ صباه المبكر بمدرسين خاصين غرسوا في نفسه الغضة حب الاطلاع . وفي سنة ١٨٨٢ التحق رودو بمعهد خاص كان التعليم فيه مدنيا خالصا على عكس الكثير من المعاهد التي كان يلتحق بها الاطفال في مثل سنه والتي كان التعليم فيها خاضعا لاشراف السلطات الكنسية ، وكان لهذه اثرها في تحرر رودو في تفكيره وتوسيع أفقه منذ هذه الفترة المبكرة من حياته وقد بدا اهتمام رودو بالادب وتطلعه الى مهنة العلم منذ أيام دراسنه في هذا المعهد ، اذ أصدر فيه مع زميل له مجلة صغيرة كان يحررها بنفسه .

وفي سنة ١٨٨٥ توفى والده ، وكان لذلك الحدث اثر كبير في حياته ، اذ ان الحياة السهلة المتيسرة التي كان يحياها في بيت والده قد أصابها موت رب الأسرة بما أحالها الى شظف وفقر . حتى ان رودو اضطر الى ان يعمل بيده حتى يقيم أود نفسه وأسرته ، على انه استمر في دراسته وان بدا ميله الى الدراسات الأدبية وانصرافه عما كان مقررا عليه من دراسة العلوم . وهذا هو ما جعله يقطع دراسته قبل أن يتجه .

وفي سنة ١٨٩٥ يبدأ ظهور رودو في ميدان الحياة الأدبية بأورجواى اذ يقرر بالاشتراك مع بعض زملائه الشباب اصدار صحيفة ادبية يطلقون عليها اسم « المجلة الوطنية للأدب والعلوم الاجتماعية » ويصدر العدد الأول من هذه الصحيفة في ٥ من مارس من السنة المذكورة .
وسرعان ما ارتفع نجمه وذاع صيته في أورجواى وفي البلاد المجاورة الناطقة بالاسبانية بفضل المقالات الأدبية والنقدية التى كان يكتبها في هذه المجلة . ولكن عديدا من الصعوبات والمشكلات أدت الى ايقاف نشر المجلة بعد نحو سنتين من صدورها ، في نوفمبر سنة ١٨٩٧ . ومع ذلك فقد كسب رودو من عمله في تلك المجلة خلال حياتها القصيرة بروز اسمه وذيع صيته باعتباره من اكبر النقاد الأدبيين الشباب . ويتصل رودو بعد ذلك بالشاعر الأمريكى العظيم « روبن داريو » زعيم الحركة الأدبية المعروفة باسم « الاتجاه الحديث » في الآداب الاسبانية . وينضم رودو الى هذه الحركة الأدبية الجديدة ، بل انه سرعان ما يصبح من أبرز اعلامها .

وفي هذه الأثناء كانت البلاد تجتاز مرحلة من الصراع السياسى العنيف بين الأحزاب ، واشترك رودو في النشاط السياسى ، ولكنه لم يوجه اهتمامه الى المبادئ الحزبية ، بل بدأ في تفكيره السياسى هادئا غيورا على مصلحة بلاده حريصا على اقرار الحرية والعدالة فيها .

ويصدر في هذه الفترة أهم كتبه واعظمها وهو كتاب « ارييل Ariel » سنة ١٩٠٠ ، وهو مجموعة من المقالات الفلسفية التى عالج فيها كثيرا من موضوعات الساعة الفكرية ولا سيما أزمة الفكر الانسانى بين الثقافة والديمقراطية . وقد ضمن هذا الكتاب لرودو مكانة عالية بين حال الفكر فى أمريكا اللاتينية كلها ، بل ان اسمه تجاوز حدود قارته الى أوروبا وغيرها من الأوساط المثقفة فى العالم كله .

وقد أدى نجاح الحزب الذى كان رودو يكتب فى صحافته - وان لم يكن هو نفسه من جنود ذلك الحزب او ممن يضعون اقلامهم فى خدمة

الحزبية السياسية - الى ان يعهد اليه بوظيفة ادارية لم يستمر في مباشرتها زمنا طويلا ، اذ عين في ٩ من مايو سنة ١٨٩٨ استاذًا مساعدًا للادب في جامعة مونتفيدو . واذا كان اسم الكرسي الذي شغله رودو من الناحية الرسمية هو « تاريخ الادب » فان ما كان يدرسه رودو لطلبته كان اقرب الى دراسة الفلسفة الجمالية وتحليل القيم الادبية منه الى التاريخ الادبي .

ظل رودو في منصبه الجامعي ثلاث سنوات ، حتى سنة ١٩٠١ ، وفي هذه السنة تعود السياسة لاغرائه في خوض ميدانها من جديد ، اذ يقرر عدد من قادة « الحزب الاحمر » من الشباب ان يؤلفوا جمعية تميد الشباب الى اوصال هذا الحزب بعد ان مزقته زعاماته القديمة ، وتتألف هذه الجمعية باسم « نادى الحرية » وينتخب رودو نائب رئيسها . ولكن النزاع يدب في هذا النادى نفسه ، ويرى رودو نفسه مضطرا الى الانصراف عن هذه التجربة السياسية ، وان كان اهم ما تضمنته بالنسبة لتراثه الفكرى هى انها اتاحت له فرصة الاتصال بالجماهير والخطابة فيها . وقد ذاع اسم رودو بعد ذلك باعتباره من اعظم الخطباء والمحاضرين الذين اخرجتهم قارة أمريكا اللاتينية في تاريخها الحديث .

ولم يمن اعتزال رودو لنادى الحرية الذى كان من مؤسسيه الانصراف عن الحياة السياسية او الشؤون العامة في بلاده . ففي سنة ١٩٠٢ رشح نفسه في الانتخابات ، وفاز بمقعد في البرلمان نائبًا عن مونتفيدو . وظل في هذا المنصب ثلاث سنوات (حتى ١٩٠٥) مباشرة نشاطا كبيرا في خدمة البلاد وقضاياها الثقافية والفكرية والتعليمية . ولكن الجو السياسى في البلاد كان مقبضا تنفر منه نفس كل وطنى مؤمن غيور على مصالح بلده مثل رودو ، فان الخلافات الحزبية ظلت تتفاقم حتى انتهت الى انفجار الحرب الاهلية في سنة ١٩٠٤ . ويصور رودو هذا الجو القاتم الحزين بقوله في احدى رسائله :

« اما لدينا هنا فالحال لم تتغير عما كانت عليه : حرب وشقاء ، متزعمون ومتعصبون ، انهيار من الدماء وبراكين من الاحقاد ، في كل هذا حبة متدفقة نابضة بالنشاط ، اما فيما عداه فليس هناك الا الموت والصمت »

ويقول في رسالة اخرى وجهها الى الفيلسوف الاسباني الكبير
ميجيل دي أونامونو :

« ليس هناك شيء يث السرور فيما يمكن أن يحدثك به عن بلادي .
الحرب الأهلية عندنا ليست شيئا جديدا ، وانما هي شيء يبدو أنه تأصل
في شعوبنا حتى انه أصبح بمثابة « تسلية » أو « رياضة » قومية . واذ
كانت هذه الحروب الأهلية شيئا مخجلا محزنا لا يكاد المرء يجد لها مبررا
الا حماقة من يظنون انفسهم زعماء وقادة ، فأنى لا اشاطر الكثيرين
تشاؤهم في نظرتهم الى مصير بلادنا . فانا واثق من أن كل هذا شر لا بد
أن ينتهى ، ريعقه نظام جديد للحياة سوف يستفيد من تجارب الماضى
ودولاته . على أن المؤلم هنا هو أن مثل هذا الجو الخائق الذى نعيش
فيه لا يسمح لحياة الفكر بأن تعمل شيئا له قيمته . وانا رجل اديب
اعوى الفكر والدراسة ولكنى لست ممن يعتزلون حياة أوطانهم أو
يعتكفون فى أبراج عاجية بعيدا عما تضطرب به نفوس المخلصين من أبناء
اسمهم من الآم وآمال » .

ولكن اشمئزاز رودو من الجو السياسى الموبوء فى بلاده ظل فى
تزايد مستمر . ففى سنة ١٩٠٥ أجريت انتخابات جديدة وأعيد انتخابه
ولكنه أعلن استقالته من المجلس النيابى طوعا وبمحض ارادته فى ٨ من
فبراير سنة ١٩٠٥ ووصف هو نفسه هذه الاستقالة بقوله : « هنا انتهى
الخروج الأول لدون كيخوتى » ، وهو يعنى بذلك يأسه من اصلاح احوال
السياسة فى بلاده واقتناعه بأن جهوده التى بذلها خلال السنوات الثلاث
الماضية انما كانت أشبه بجهود ذلك الفارس الجوال دون كيخوتى بطل

رواية سرفانتيس الخالدة الذى أراد أن يملأ الأرض عدلاً ، وأن يحمى الضعفاء والعاجزين ، ولكنه لم يكن يقابل من الناس الا بالسخرية والاستهتار . ويبدو أنه منذ تلك الفترة عزم على مغادرة أوروغواى والبحث فى أوروبا عن جو أصفى للتفكير ومتعة الروح من جو بلاده الذى كان مشحوناً بالتنازع والتناحر السياسى والمذهبى العنيف .

وكانت كتب رودو ومقالاته قد جعلت منه واحداً من أبرز المفكرين والكتاب فى العالم الأمريكى الناطق بالاسبانية ، فقدمت اليه عروض كثيرة من جانب كثير من كبريات الصحف الأمريكية لكى يكون من كتابها أو مراسليها . وعلى الرغم من ذلك فالأخبار التى نعرفها عنه خلال السنوات التى وافقت أوج شهرته الأدبية تدل على أنه كان دائماً فى ضائقة مالية شديدة ، فقد كان لانصرافه الى حياة الفكر أبعد ما يكون عن التدبير السليم لدخله . وكان كريماً طيباً فى معاملاته . وقد أدى هذا الى أن يعمل على استغلاله بعض من يتظاهرون بصدأفته .

وفى سنة ١٩٠٧ انتهى رودو الى قبول عرض قدمته اليه صحيفة « لاناثيون » (الأمة) الأرجنتينية الصادرة فى بونوس آيرس ، لكى يكون من محرريها الأدبيين ، وكانت هذه الجريدة — ولا تزال — من أعظم صحف القارة الأمريكية وأكثرها قراء .

وفى نفس السنة تعرض عليه ادارة جامعة مونتفيدو أن يعود لشغل كرسي الأدب فيها . ولكنه يرفض هذا المرض ، ويؤثر مرة أخرى أن يخوض ميدان السياسة ، فيرشح نفسه لانتخابات المجلس النيابى فى سنة ١٩٠٨ ، وينجح فى هذه الانتخابات ويعود ليصبح نائباً عن مونتفيدو خلال فترة أخرى تمتد الى سنة ١٩١١ ، ويوجه اهتمامه فى منصبه الجديد الى ما كان أغلب عليه فى فترته النيابية الماضية : الى الشؤون الثقافية والفكرية دون أن يقحم نفسه فى ميادين المنازعات السياسية والحزبية ، وفى نفس هذه السنة (١٩٠٨) ينتخب رئيساً لاتحاد الصحافة .

وفي سنة ١٩١٠ يعهد الى رودو والى الشاعر ثور يليادى سان مارتين بتمثيل أورجواى فى السفارة التى أرسلت للمشاركة فى الاحتفالات بمناسبة مرور مائة عام على استقلال شيلى ، ويلقى بهذه المناسبة فى تلك الاحتفالات خطابا جامعا يضمنه آراءه فى وحدة بلاد أمريكا اللاتينية الناطقة بالاسبانية ويستقبله شعب شيلى وحكومتها بحفاوة عظيمة باعتباره المفكر الأول فى هذه القارة .

وفي سنة ١٩١١ تنتهى فترته النيابية الثانية ، فيتقدم للانتخابات الجديدة ويفوز للمرة الثالثة بمقعد النيابة فى البرلمان عن مونتفيدو .
ريستمر فى هذا المنصب النيابى حتى سنة ١٩١٤ ، على أنه - الى جانب أعماله الأدبية والصحفية - يقوم فى هذه المرة بنشاط سياسى كبير . اذ يتزعم احدى كتل الحزب الأحمر المناهض لرئيس الجمهورية ولحكومته، ويؤدى ذلك الى صدامه مع نظام الحكم القائم اذ أنه بفضل مكانته فى الأوساط الأدبية والصحفية والسياسية يصبح هو رأس الكتلة المعارضة للحكومة . ويؤدى ذلك الى اضطهاد الحكومة اياه ومحاربتة فى مختلف الميادين .

وعلى الرغم من ذلك فان مكانته تتوطد وترتفع حتى ان المجمع اللغوي الاسبانى يختاره عضوا مراسلا له فى أورجواى .

وفي سنة ١٩١٤ تشب الحرب العالمية الاولى . ويكون لهذا الحزب اثر كبير فى نفسه ، على انه يواصل عمله الصحفى ، فيعهد اليه برياسة تحرير جريدة « التلغراف » ، وفى اثناء هذه السنوات لجمع كثيرا من مقالاته وبحوثه النقدية فى كتب ينشرها فى أورجواى وفى غيرها من البلاد . ففي سنة ١٩١٥ ينشر فى مدريد (اسبانيا) مجموعة تضم خمسا من مقالاته من بينها مقالة عن « سيمون بوليفار » .

وفي سنة ١٩١٦ يزداد ضيقه بالأحوال فى بلاده ، لا سيما بعد ان

اعتبرته الحكومة عدوا شخصيا لها . وحينئذ يصمم على مفادرة بلاده ، ويعرض عليه في ذلك الوقت أن يكون مراسلا في أوروبا لجريدة « كاراس اى كاريتاس » (رجوه واقنعة) التى تصدر في بوينوس ايرس ، فيقبل العرض على الفور . ويحدث قبوله ضجة كبيرة في البلاد ، اذ تشعر الأوساط الفكرية والأدبية بمدى ما يعنيه هجر هذا الكاتب الكبير لبلده بعد أن ضاقت به الأحوال فيه . فتتقدم الى البرلمان مشروعات عديدة بمنحه عدة مناصب تفنيه عن قبول وظيفة في صحيفة أجنبية ، ولكنه يرفض كل هذه المشروعات بحزم واصرار . وفي ١٣ من يولية سنة ١٩١٦ في عشية اليوم السابق المحدد لسفره يقيم اتحاد الصحافة له حفل تكريم ووداع .

وفي اليوم التالى يبحر رودو متجها الى أوروبا ، ويصل في اول اغسطس الى لشبونة (البرتغال) ومنها يتجه الى مدريد ، ثم الى برشلونة . ومن اسبانيا ينتقل الى فرنسا ثم الى ايطاليا ، ومن هذه البلاد يرسل اولى مقالاته للجريدة الأرجنتينية التى أوفدته . ولكن المرض يفاجئه في ايطاليا وكانت صحته قد تدهورت خلال السنوات الماضية ، غير انه يواصل جولته في مدن ايطاليا ، من شمالها الى جنوبها ، ويصل في النهاية الى باليرمو في جزيرة صقلية يوم ٣ من ابريل وقد اشتد عليه المرض .

وفي ٣٠ من ابريل نقل الى المستشفى وقد اشتدت عليه آلامه . ولم تفلح جهود الأطباء في انقاذه ، ففاضت نفسه في اليوم التالى اول مايو سنة ١٩١٧ ، وبلغ النبا مونتفيدو في يوم ٣ من مايو فارتجت له البلاد بأسرها ، وأرسلت حكومة اورجواى وفدا الى ايطاليا لحمل رفات رودو واعادتها الى مسقط رأسه ، وكانت جنازة رودو في مونتفيدو مظاهرة كبيرة اشترك فيها الشعب كله لتكريم ذلك الكاتب العبقري الذى ضاق ببلاده وضاقت به حيا ، ثم أدركت ما كان يعنيه بالنسبة لها بعد أن انطوت صفحات حياته .

وعلى الرغم من قصر عمر خوسيه انريكي رودو اذ انه لم يتجاوز نحو ست وأربعين سنة فانه خلف انتاجا غزيرا من الكتب والدراسات الأدبية والنقدية كفلت له المكان الأول بين كتاب أمريكا اللاتينية خلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين .

والكتاب الذى تقدمه بهذه السطور : « بوليفار » هو احدى الدراسات التاريخية التى خطها قلم خوسيه انريكي رودو ، ويعتبر من أجمل صفحات انتاجه وأروعها . وكان رودو قد نشر هذه الدراسة لأول مرة فى سنة ١٩٠٤ ، ثم أعاد نشرها مع مجموعة أخرى من الدراسات جعل عنوانها « شرفة بروسبيرو El Mirador de Prospero » وهو كتاب طبع اكر من مرة ، واحدى طبعاته هى التى ظهرت فى مدريد (اسبانيا) سنة ١٩١٥ .

وقد كان بوليفار فى نظر خوسيه انريكي رودو هو المثل الأعلى للبطل ، وهو يرى فيه أفضل نموذج انسانى ظهر فى أمريكا الناطقة باللغة الاسبانية على طول تاريخ القارة ، وقد ألح رودو على هذا المعنى وكرره فى كثير من مقالاته ودراساته الأخرى .

ونحن نرى فى هذه الدراسة عن طريق الترجمة العربية التى تقدمها لقراء العالم العربى لأول مرة مدى دقة التحليل الذى يعرضه لنا رودو لشخصية بطل تحرير أمريكا اللاتينية وجنرال الأسلوب الذى تميز به ذلك العرض ، ولو ان الترجمة مهما كانت لا يمكن أن تصل الى روعة الأصل .

وطبعمى اننا لن نجد فى هذه الدراسة ترجمة مفصلة لحياة سيمون بوليفار ، اذ أن تفاصيل حياة البطل واحداثها معروفة لقرائه الأمريكيين - وهذا هو ما حملنا على أن نتبع هذا التقديم بعرض سريع لحياة بوليفار - يستطيع القارئ أن يلم عن طريقه بما تضمنته اشارات رودو فى غضون

دراسته - ، فالذى هدف اليه رودو هو أن يقدم لنا ملامح البطولة المستخلصة من حياة الزعيم الأمريكى المبقرى الذى سبق عصره وكان أول مبشر بفكرة الوحدة الأمريكية التى لم تتحقق بعد على الرغم من مرور نحو قرن ونصف على وفاته .

وقد كان لقال رودو عن بوليفار أثر بالغ على نفوس شباب الطليعة فى أمريكا اللاتينية وفى فنزويلا بصفة خاصة ، حتى أنهم أصبحوا يعتبرون رودو - فضلا على مكانته كأديب وكاتب من المع كتاب قارة أمريكا الناطقة بالإسبانية - أبا وموجها روحيا . ففي ١٩ من نوفمبر سنة ١٩١٣ أصدر الاتحاد العام للطلاب فى فنزويلا قرارا بتعيين خوسيه انريكي رودو رئيسا فخريا للاتحاد ونص فى هذا القرار على أنه اتخذ كلون من الاعتراف بفضل الكاتب الأرجوائى وبقيمة مقاله عن سيمون بوليفار ذلك المقال الذى يعتبر خير ما صدر حول بطل تحرير أمريكا اللاتينية من دراسات . وقد وقع هذا القرار زعماء الاتحاد الطلابى الذين أصبح لكثير منهم فيما بعد مكان قيادة النشاط الفكرى والثقافى فى فنزويلا .

والواقع هو أن حياة بوليفار التى انقضت فى كفاح مستمر من أجل بلاده تعتبر من أروع النماذج الإنسانية لحياة أحد أبطال التحرير . هى سيرة نحن جديرون فى العالم العربى بأن نتأملها ونتعمقها ، إذ أننا سنرى فيها صورة من كفاح امتنا العربية فى سبيل الاستقلال والتحرر ثم الوحدة التى هى الهدف الأسمى من كل ذلك الكفاح .

أن بلاد أمريكا اللاتينية بعيدة عنا حقا من الناحية الجغرافية ، ولكن الذى يتأمل أوضاعها وتاريخ كفاحها يرى أن هناك كثيرا من الوشائج تربط بين عالمنا العربى وبين ذلك العالم الذى يسمى مثلنا الى التحرر والوحدة .

وفى حياة البطل الفنزويلى سيمون بوليفار صورة حية لذلك الكفاح

الذى يمكننا أن نقرنه بكفاح كثير من أبطالنا الذين عملوا من أجل هذا الهدف النبيل منذ القرن الماضى حتى اليوم .

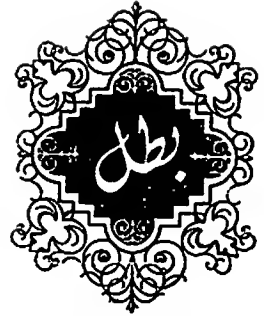
وقد عرف خوسيه انريكى رودو - أديب أورجواى العظيم وكاتب أمريكا الإسبانية الأول - كيف يعرض علينا لمحات من بطولة بوليفار . بقلمه السحري الرائع وكلمته المتوقدة واحساسه الصادق المؤمن .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى تقديم هذا الأثر الخالد من آثار الفكر الأمريكى اللاتينى ، الذى خطه قلم أحد عباقرة الكتاب الأمريكيين حول سيرة مبقرى أمريكى آخر وبطل من أبطال الحرية على طول التاريخ الإنسانى كله .

ومن الله نستلهم التوفيق .

د . محمود على مكى

بوليفار

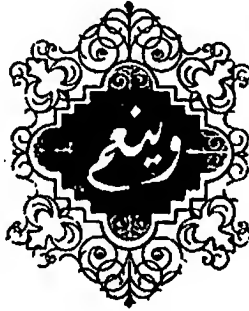


تحرير قارة أمريكا اللاتينية الأعظم ،
وعدو الاستعمار اللدود ، وخالق مجموعة
كبيرة من الدول الأمريكية المستقلة التي
تحررت بفضل عبقريته ومواجهه الاستثنائية وإيمانه الذي لم
يتزعزع أبداً بقضية الحرية .

ولد سيمون بوليفار في كاراكاس عاصمة فنزويلا في
سنة ١٧٨٣ من أبوين ينتميان الى أسرة إسبانية نبيلة عريقة ،
وكان أبوه خوان فينتي بوليفار Juan Vicente Bolívar
ضابطاً كبيراً برتبة مقدم ، وأصله من منطقة « الباسك »
(في شمال اسبانيا على جبال اليرينيه الفاصلة بين اسبانيا
وفرنسا) . وكان من بيت غني طائل الثراء . وفقد سيمون
بوليفار أبويه وهو في التاسعة من عمره ، فتكفل به جده
لأمه الماركيز فليثيانو بالاثيو سوخو Feliciano Palacio Sojo
الذي تقلب في مناصب كبيرة عليا وثيقة الاتصال بالعرش
الإسباني .

اعتنى جده بتربيته وتثقيفه على نحو ما كان متبعاً في
تعليم أبناء الطبقات النبيلة الغنية ، لعل أكثر أساتذته تأثيراً
في نفسه وأحبهم الى قلبه هو سيمون رودريجيث Simon Rodriguez

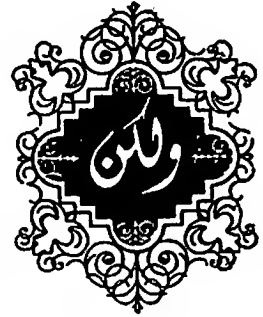
الذى كان أول من أوحى إلى تلميذه بأفكار الحرية وأشعل في قلبه جذوة بغض العبودية والثورة على الظلم . وسيمون رودريجث هو الذى حُبب إلى بوليفار قراءة الكتب التى كانت تعتبر أناجيل الحرية فى ذلك الوقت أهمها كتابات المفكرين الفرنسيين المبشرين بالثورة الفرنسية من أمثال جان جاك روسو ومونتسكيو .



ملك إسبانيا على بوليفار وهو لا يزال بعد فى سن الطفولة برتبة عسكرية شرفية ، ثم يرسله جده إلى إسبانيا لكى يكمل تعليمه هناك . ويمر فى طريقه بالمكسيك فيحتفى به حاكمها ومجتمعها الراقى ، ولكنه فى هذه الفترة المبكرة من حياته يكشف عن حبه لحرية بلاده ويفوه بعبارات يعتبرها الحاكم الإسباني جارحة له ، وإن كانت الأعذار تلمس له بسبب صغر سنه .

وحينما يصل إلى إسبانيا يتبين له مدى مايجب عليه أن يعرف عن الملكية الإسبانية ، ويتأصل فى نفسه حب الحرية ، تأخذ فكرة استقلال بلاده فى الاختمار فى ذهنه . ومع ذلك فقد انخرط بوليفار فى سلك الحياة الاجتماعية الأرستقراطية فى مدريد . وكانت رفته ودمائة أخلاقه ومعرفته بآداب المجتمع قد

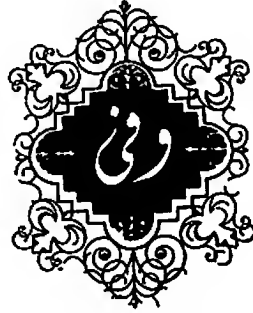
مهدت له السبيل لاحتلال مكانة رفيعة في مجتمع البلاط ،
 وفي غمار هذه الحياة المرفهة الناعمة يتعرف بوليفار على فتاة
 جميلة من أسرة نبيلة هي ماريا تيريسا رودريجيث دى تورو
 Maria Teress Rodriguez del Toro ، ويحبها بوليفار حباً
 عميقاً . ويعزم على الزواج بها ، ولكن أباه يؤثر التريث
 لصغر سن الفتاة وصغر سنه هو . وحينئذ يتوجه الى فرنسا .
 ويتعرف هناك على نابوليون بوناپرت وتستأثر شخصية
 نابوليون بإعجابه ويصبح في نظره المثل الأعلى حتى يتغير
 رأيه فيه بعد ذلك . ويعود بوليفار الى إسبانيا ويتم زواجه
 من الفتاة التي أحبها ويسافر الى فنزويلا .



زوجته الشابة لا تلبث أن تموت بعد سنة
 واحدة من الزواج ، ويملاً الحزن قلبه .
 فيعود الى إسبانيا ويشغل نفسه بدراسة

الرياضيات ، ويلتقى مرة أخرى بأستاذه القديم سيمون
 رودريجيث ، ويقومان معاً بجولات في أوروبا . وفي هذه
 الأثناء يأتيه نبأ تنويع نابوليون امبراطوراً ، فيصاب بخيبة
 أمل مريرة ، اذ أنه كان يرى فيه مثلاً أعلى لبطل من أبطال
 حرية الشعوب ورجل مجرد من المطامع والرغبات الشخصية .

ويعود أستاذه سيمون رودريغز إلى تأصيل الأفكار الثورية في نفس تلميذه . ويبلغ به الأمر إلى أن يأخذ عليه عهداً وهو على قمة جبل « أفنتينو Aventino » في روما أن يكرس حياته للكفاح من أجل استقلال بلاده .



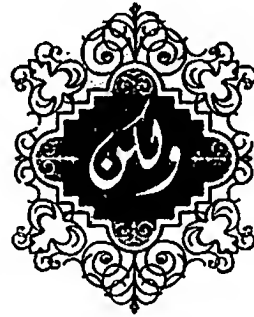
سنة ١٨٠٧ يعود بوليفار إلى بلاده بعد جولات طويلة في فرنسا وهولندا وألمانيا وإيطاليا. وكانت بعض الحركات الثورية العاملة من أجل استقلال أمريكا قد وقعت في هذه الأثناء في فنزويلا ، وكان أهمها تلك التي قادها الجنرال فرانسيسكو دي ميراندا Francisco de Miranda في سنة ١٨٠٦ . وكان ميراندا قد عرف الثورة الفرنسية عن كثب وأخذت أفكارها بنفسه فعمل على نشرها والدعوة إلى استقلال البلاد الأمريكية التي كانت لا تزال خاضعة للحكم الإسباني . وتكررت هذه المحاولات حتى بلغت ذروتها في سنة ١٨١٠ . وفي هذه الأثناء كانت إسبانيا نفسها قد وقعت تحت نير الغزو الفرنسي ، تحت وطأة نابليون بونابرت . ويثور الفنزويليون ويطالبون الحاكم الإسباني بأن يعتزل حكم البلاد . ويشترك بوليفار مع ميراندا في تأليف « الجمعية الوطنية » التي تعلن استقلال فنزويلا في ٥ من يولية سنة ١٨١١ .

ولكن الخلاف شجر بعد ذلك بين ميراندا السياسي المحنك وبوليفار المندفع المتحمس في صميم الجبهة الوطنية ، وتازمت الحالة بعد أن أتت أنباء من إسبانيا بأنها تستعد لسحق الثورة الاستقلالية ، وكأن ذلك كله لم يكن كافياً حتى أضيفت إليه بعض كوارث الطبيعة ، إذ لم يمض على إعلان الاستقلال عام واحد حتى اجتاح كاراكاس في يولية سنة ١٨١٢ زلزال عنيف ذهب ضحيته عشرة آلاف نفس في العاصمة . ونرى هنا وفي غمرة هذه الكارثة المروعة مظهراً له دلالاته من جوانب شخصية بوليفار ، فهو يعتلى أمام الجماهير المذعورة حطام البيوت المهدمة وركام الأحجار ويصبح في حماسة ملتبهة : « إذا كانت الطبيعة تعترض طريقنا فإننا سنكافحها حتى نحملها على طاعتنا والانقياد لنا !! » .



أن هذه الثورة الأولى تنتهى إلى الفشل . ويتمكن القائد الإسباني مونتفيردى Monteverde من استعادة السلطة ، ويكون أول ما يعمل له للانتقام من بوليفار هو مصادرة كل أملاكه . ويضطر بوليفار إلى السفر بطريق البحر إلى قرطاجنة (كولومبيا) ، ولكنه هناك يعيد المحاولة ويبشر بدعوة الاستقلال ، ويتزايد أنصاره حتى يبلغوا خمسمائة رجل .

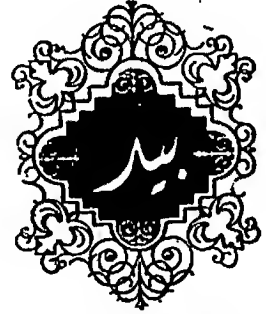
وبهذه القوة الضئيلة يبدأ بوليفار حملته الشهيرة لتحرير بلده كاراكاس . وتتوالى انتصاراته على القوات الإسبانية : في أوركونس Horcones وتاجوانس Taguanes وموسكيتيرو Mosquitero ، ويتمكن أخيراً من هزيمة غريمه الحاكم الإسباني مونتيرو. ويحمله شعب كاراكاس على الأكتاف في موكب النصر وتنادى به الجماهير « بطلاً للتحرير » وهو اللقب الذي سوف يحمله بوليفار منذ هذه اللحظة ويدخل به التاريخ من أوسع الأبواب .



الأمر لم تستتب له بعد ذلك. إذ سرعان ما يدب الخلاف بين الفنزويليين وتخوض البلاد حرباً أهلية تمزق شمل جيش بوليفار

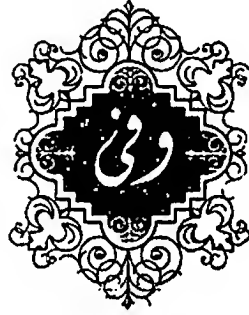
نفسه ، فيسحب مرة أخرى إلى قرطاجنة ومنه إلى بوجوتا حيث تنادى به الجماهير هناك قائداً للجيش المتحدة . وتأتي الأنباء بعد ذلك بأن جيشاً إسبانياً كبيراً تحت قيادة الجنرال موريو Morillo قادم في طريقه إلى بوجوتا . ويفت اليأس في عضد أنصاره . فيضطر إلى مغادرة البلاد والتوجه إلى جامايكا ، وهناك يكتب رسالته المشهورة التي عرفت باسم « رسالة جامايكا » ، وهي تعتبر وثيقة تاريخية من

الطراز الأول . ففيها يحلل الأوضاع السياسية لبلاد أمريكا اللاتينية تحليلًا يشف عن دقة الملاحظة ونفاذ النظرة وتسوء أحواله في جامايكا ويضطر إلى الاستدانة ، ولكنه لا يئأس من قضية حرية بلاده ، وهو لا يكف عن دعوة كل الفنزويليين اللاجئين إلى الاجتماع به . ولكن الخلاف يدب بينه وبين بعض الضباط من مواطنيه . ويرى نفسه مضطرا إلى ترك مشروعه الذي كان يسعى إلى تأليف جيش جديد .



أن ذلك لا يلقى اليأس في نفسه، فيقرر العودة إلى بلاده، ويكون نزوله هذه المرة بمدينة أنجوستورا Angostura، وكانت أشبه بقرية فقيرة تقع على ضفة نهر الأورينوكو وتتألف منازلها من عدة أكواخ . وعلى الرغم من ذلك فإنه يشرع على الفور في تأليف جيش كبير قادر على أن يخوض جولة جديدة مع الجنرال موريو . ويسمع الناس في أوربا ببوليفار ويرى فيه الكثيرون بطلا من أبطال الحرية فيقدم له الكثيرون من العسكريين المحترفين خدماتهم ويعرضون عليه أنفسهم ، وهكذا يتضخم جيشه بالمتطوعين الفنزويليين والأمريكيين وبالمغامرين الأجانب . وتزايد شعبية بوليفار ، ويعلن بايث

Paéz زعيم فرسان السهول أنه هو وكل أنصاره ينادون ببوليفار زعيماً وقائداً لهم . ويضع بايث نفسه في خدمة الزعيم ، وهكذا يكون بوليفار ذلك الجيش الغريب المؤلف من أخلاط متعددة من الناس ، لا يكاد يربط بينهم إلا الإعجاب بشخصية بوليفار والثقة فيه .



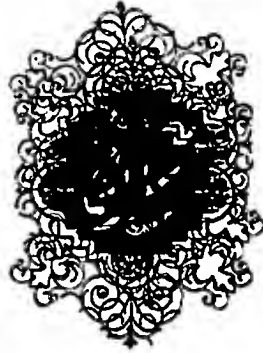
سنة ١٨١٨ يهاجم بوليفار خصمه القديم الجنرال موريو بجيشه ويضرب عليه حصاراً في قرية « كالابوθο Calabozo » . ولكن

القائد الإسباني ينفذ من هذا الحصار ويتمكن من جمع جيشه وضرب قوات بوليفار ضربة ساحقة تشتت شملها في معركة « لابورتا La Puerta » ، ويلجأ بوليفار من جديد إلى أنجوستورا . ولا تنال منه تلك الهزيمة . بل إنه يعمل على إعادة تنظيم جيشه ويفكر في مشروع هائل مذهل هو غزو بوجوتا وتوحيد فتزويلا وكولومبيا وتأليف ما كان يريد تسميته « جمهورية كولومبيا الكبرى » . ويدعو أنصاره إلى مؤتمر عام يعرض فيه آراءه الثورية ويشرح أفكاره في تنظيم الدولة الجديدة ويفوضه المؤتمر في اتخاذ ما يراه من إجراءات . ولكنه يتريث في انتظار الشتاء حتى يشن هجومه الكبير ، ومع ذلك فهو لا يضيع وقته ، بل يتحرك في كل

جبهة ويبعث بتعليماته إلى رجاله المنبشرين في أنحاء البلاد .

وفي شتاء سنة ١٨١٩ يبدأ بوليفار زحفه الكبير على كولومبيا ، ولم يكن جنوده في حالة نفسية عالية ، فقد كان اليأس غالبا عليهم ، وكانت أقواتهم محدودة حتى إنهم كانوا يقضون معظم أيامهم دون أن ينالوا من الطعام إلا وجبة واحدة في اليوم ، ولكنه كان كأحدهم لا يميزه شيء عنهم ، وكان يشاركهم كل ما كانوا يقاسونونه من البرد والجوع . ويصل أخيرا إلى جبال الأنديز في غرب كولومبيا (أو غرناطة الجديدة كما كانت تسمى في ذلك الوقت) . وعلى الرغم مما عاناه جيش بوليفار من إمتاع هذه المسيرة الطويلة فإنه يحرز انتصارا كبيرا على القوات الإسبانية في موقعة «بويাকা» Boyacá في ٧ من أغسطس سنة ١٨١٩ . ويمهد هذا الانتصار السبيل له لدخول بوجوتا دخول المنتصرين . أما نائب الملك الإسباني فإنه يلوذ بالفرار . ويعلن بوليفار تأسيس جمهورية كولومبيا الكبرى المستقلة . ويعتزم بوليفار تحرير موطنه فنزويلا من جديد ، فيعود إلى أنجوستورا حيث ينظم قواته للزحف على كاراكاس . وكان الجنرال موريو في ذلك الوقت يأخذ أهبة للقاء بوليفار ويطلب إلى مدريد إمداده بقوات جديدة ، ولكن هذه القوات لاتصل ، إذ أن قائدها يشور على حكومة بلاده وهو في الطريق . وحينئذ يؤثر موريو التفاوض ، ويتم لقاء الغريمين في قرية سانتانا Santa Ana على نحو يعيد إلى الأذهان صور القروسية

القديمة بما فيها من النبل واحترام الخصم ، إذ يتعانقان ويتناحدا
كما لو كانا صديقين قديمين . ويغادر موريو فنزويلا تاركاً
الأمر لنائبه لاتورى La Torre ، وتعتقد الهدنة بين الطرفين
ولكن القتال ينشب من جديد بعد ذلك ، وتدور معركة
« كارابوبو Carabobo » بين بوليفار ولاتورى فى ٢٤ من يونيه
سنة ١٨٢١ ، وتنتهى الموقعة بانتصار عظيم لبوليفار يفتح له الطريق
إلى بلده ومسقط رأسه كاراكاس . ويدخل بوليفار العاصمة
الفنزويلية من جديد فى وسط مظاهر فرح الشعب وهتافه له .



بوليفار لا يستريح ولا يهدأ ، وهو يفكر فى
تحرير بقية بلاد أمريكا اللاتينية ، ويمد
بصره هذه المرة إلى كيتو Quito (عاصمة
إكوادور) وفى مارس سنة ١٨٢٢ يبدأ بوليفار حركته فى هذه
الحملة الجديدة يرافقه مساعده العظيم القائد سوكرى Sucre
وفى مدينة باستو Pasto تدور معركة عنيفة يوشك فيها
الإسبان على الإيقاع بجيشه ، ويطلب بوليفار من زميله فى
الكفاح وبطل تحرير الأرجنتين وشيلي سان مارتين إمداده
بنجدة سريعة ، فيرسل إليه هذا ألفاً وأربعمائة جندي
تحت قيادة سانتا كروث Santa Cruz ، ويتولى سوكرى
ساعد بوليفار الايمن قيادة المعركة التى تدور فى بتشنشا

Pichincha في ٢٤ من مايو سنة ١٨٢٢ . ويحرز انتصاراً كبيراً على الجيش الإسباني . فتمهد طريق بوليفار الدخول كيتو وتحرير إكوادور . وضمها إلى جمهورية «كولومبيا الكبرى» . ومن كيتو يقوم بوليفار إلى جواياكيل Guayaquil (في بيرو) . ويأتي محرر الأرجنتين سان مارتين نفسه إلى هذه المدينة لكي يلتقي ببوليفار ويتم هذا اللقاء في يومى ٢٦ و ٢٧ من يولية سنة ١٨٢٢ . ويدور في جو من الصداقة والإعجاب المتبادل . ولا يلبث سان مارتين بعد ذلك اللقاء التاريخي أن يقرر الانسحاب من بيرو وترك الميدان لبوليفار ويستقبل البيروانيون بوليفار استقبالهم للمنقذ المخلص . ولكن الجيش الإسباني لا يزال يتربص بالبطل . فيعيد تنظيم صفوفه ويلتقي بجيش بوليفار في وادى « خونين Junín » . ولكنه يمنى بهزيمة فادحة . ويتجه بوليفار على أثر ذلك إلى « ليما » تاركاً قواته تحت قيادة سوكرى . وفي ٩ من ديسمبر سنة ١٨٢٤ تدور معركة أياكوتشو Ayacucho الشهيرة التي أحرز فيها سوكرى أعظم انتصار له في حياته العسكرية على فلول الجيوش الإسبانية . ويبلغ النبأ بوليفار وهو مجتمع بقواده وأعوانه فلا يزال نفسه من الصباح وقد أخذت الحماسة بمجامع نفسه « النصر ! النصر ! ... » وإذا كان بوليفار لم يحضر هذه المعركة الفاصلة فإنه لاشك في أن الانتصار العظيم الذى أحرزه سوكرى فيها إنما كان بفضل بوليفار وواحدة من مآثره كمقائد للخطط العسكرية .

غير أن فرحة بوليفار بذلك النصر لاتلبث أن تتبدد وتعقبها الحسرة والآلم حينما تصله الأنباء بأن مناطق الشمال التى استطاع تحريرها لم تلبث أن عمتها القوضى وانتشرت فيها الخلافات والمنازعات الأهلية ، بل إن مختلف الولايات التى لم تفرغ بعد من تحرير أراضيها قد أسرعت إلى المطالبة بانفصالها عن « جمهورية كولومبيا العظمى » مؤلفة دولاً مستقلة . ويستبد الآلم والقنوط ببوليفار فى هذه اللحظة ، وهو يرى البناء الذى شاده بجهوده وتضحياته حجراً حجراً موشكاً على التصدع والانهار ، وينطق بهذه العبارة التى تركزت فيها المرارة واليأس : « لقد حرثت فى البحر ! ... »



بوليفار إلى بوجوتا، وقد أنهدت صحته ولم تعد قواه تسمح له بمواصلة الكفاح ، يعود مريضاً كسيراً مهيفض الجناح ، وكأن ذلك لم يكن كافياً لإيلام نفسه ، حتى يبلغ الأمر إلى حد التأمر على حياته هو فى سنة ١٨٢٨ حينما يتسلل جماعة من معارضيه إلى داره عازمين على اغتياله ، لولا أن بوليفار يحس بما كان يبيت له ، فيهرب من النافذة . وبعد ذلك يرد نبأ آخر كان له وقع أليم فى نفس بوليفار : هو موت صديقه وزميل كفاحه وساعده الأيمن الجنرال سوكرى بطل

موقعة أياكوتشر . على أيدي بعض المتآمرين الذين اغتالوه بخسة ونذالة ، وفي هذا الوقت تعرض عليه بوجوتا رئاسة جمهورية كولومبيا بعد أن تمزقت وحدتها وانفصلت عنها فنزويلا وبوليفيا . ولكنه يرفض هذا العرض بكلمات يقطر منها الحزن المرير ، عبر فيها عن خيبة آماله ويأسه . ويحس بوليفار باقتراب نهايته . فيكتب وصيته وهو بعد في السابعة والأربعين من عمره . وفي ١٧ من ديسمبر سنة ١٨٣٠ يلفظ بوليفار أنفاسه الأخيرة ، بينما يحف به بعض أصدقائه المخلصين وكان قد اعتزل الحياة العامة في قرية « سانتا مارتا » على شاطئ البحر . وبقي هناك خلال الشهور الأخيرة من حياته يجتر آلامه ويفكر في مصير الأمة التي استطاع تحريرها ثم تنكر له فيها رجال كان له هو الفضل عليهم .

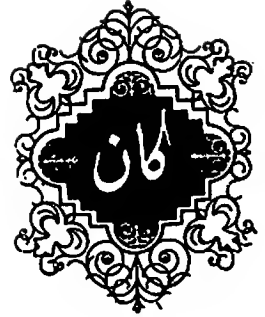
وهكذا انتهت حياة بوليفار الحافلة المليئة بالحركة والكفاح على الرغم من قصرها . وفي سنة ١٨٤٢ نقلت رفاته إلى كاراكاس . واحتفى الشعب الفنزويلي بوصول ما بقي من جسد ابنه البار بما هو جدير به من تكريم وإجلال . وعرفت له أمريكا اللاتينية كلها فضله ودوره الكبير في إيقاف القارة من غفوتها وفي تحريرها من الاستعمار الأجنبي ، بل عرف العالم كله كيف يجعل من سيمون بوليفار واحداً من أعظم الأبطال المدافعين عن الحرية في تاريخ الإنسانية جمعاء .

محمود مكي

سيمون بوليقار

۱۷۸۳-۱۸۳۰

في سطور

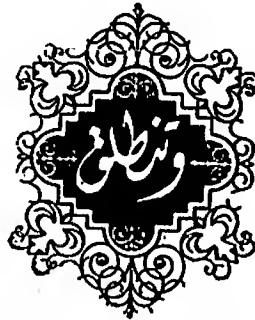


عظيما في تفكيره عظيم في عمله ، عظيم
في مجده ، عظيم في محنته ، عظيم حتى في
إضفاء ثوب من الجلال على ذلك الجانب

المظلم الذي لا تخلو من مثله نفوس العظماء ، كان في النهاية
عظيماً في تحمله في قوة وعزم تلك الضريبة التي قدر على عباقرة
الرجال أن يدفعوها كفارة عن عظمتهم ... حينما تخلى عنه
الجميع وتركوه يموت وحيداً في مواجهة مصيره المكتوب .
ولو أننا قارنا بينه وبين غيره من عظماء الرجال فلعلنا نجد
في حياة آخرين من طرازه حظاً أكبر من الاتساق والتلاؤم
أو قدراً أعظم من النقاء الخلق أو الروحي . غير أننا
لا نجد إلا قليلين لهم مثل شخصيته الطاغية التي تلوح فيها
العظمة من أي زاوية نظرت منها إليها ، والتي تأسر النفس
بما تولده فيها من الإعجاب العميق بالبطولة الحقة الرائعة .

حيما ننظر إلى ما يمثله سيمون بوليفار من الرجولة والبطولة
في المكان الذي عاش على ميدانه وفي ظل الظروف المحيطة به
فإننا لا نتمالك أنفسنا من التفكير في أنه ليس إلا رد فعل
هائل ، انفجر فجأة بكل ما فيه من قوة وعظمة وجلال ، بعد
عشرة أجيال من الخمول والخضوع والذلة ، تحت ربة

الاستعمار... سيمون بوليفار هو خلاصة مركزة لشعب تفجرت
طاقاته فجأة ممثلة في رجل واحد لكي يثار لقرون عاشها شعبه
من الخنوع والاستسلام .



الروح الحية الفتية الكامنة في أحشاء مجتمع
إنساني كان مستكيناً مخلداً إلى تخلفه وشقائه
كما يكمن ضوء البرق في ظلمات السحب
المتكاثفة . ولكن هذه الطاقة كانت في حاجة إلى ملابسات
مواتية حتى تتيح الفرصة لتفجيرها ودفعها ، فإذا أنت هذه
الدفعة لم تكن تلك الطاقة في حاجة إلى شيء آخر ، إذ أن
قوتها التلقائية كافية لتوليد مزيد من القوة . أما تلك الدفعة
الأولى فهي تتوقف على القدر ... فييد القدر وحده أن يحدث
في قلب المجتمع مثل تلك الشرارة الخاطفة التي تمثل نقطة
البدء في الانطلاقة الجبارة .

وما أكثر ما تتعاقب الأجيال في أمة دون أن تتمكن الطاقة
الكامنة فيها من أن تجد وسيلة للتفجير . ثم يأتي الجيل الذي
استودعه القدر تلك الشرارة الأولى ، وتأتي المناسبة المواتية .
ونرى تلك الطاقة الكامنة في رجل مضت حياته عادية
رتيبة ، دون أن يشعر هو نفسه بأن القدر قد ادخره لأداء

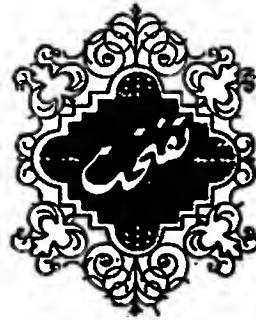
دور تاريخي تتوقف عليه حياة شعبه ، دور يضمن له بعد ذلك
خلوداً لم يكن يخطر له على بال ، ومجداً ما كان يظن أبداً أنه
سيكون من حظه .



من هذا وقع في حياة بوليفار ، لعله كان
يحس إحساساً غامضاً بأن موعد الثورة في
أمريكا اللاتينية قد حانت ساعته ، فقد كان
منذ أن تفتح ضميره للعالم يساهم بنصيب في ذلك الانفعال
الذي كان يعمل في نفوس أهل وطنه والذي كان تمهيداً لتلك
الثورة . ولكن هذا الهياج الغامض لم يطبع شبابه بشيء مميز
يوحي بأن طاقة شعبه التي أوشكت على التفجير كانت رهينة
بشخصه هو .

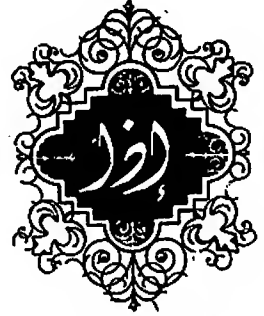
كانت أحلام بوليفار الأولى في شبابه المبكر أحلاماً
مذهبة ... تعطشاً إلى الحياة بكل ما فيها من جمال وعظمة ومتعة .
ولو أن التاريخ أو القدر لم يدق النذير في ذلك الوقت بقرب
الساعة التي سوف تتحرر فيها أمريكا ... لو أن هذه الساعة
تأخرت بعض الوقت ، لما انتظرنا من بوليفار إلا أن يواصل
حياة رخية ناعمة ... حياة سيد نبيل متعود على الرفاهية ،
قلق لا يستقر في مكان ، يوزع وقته بين رحلاته وضيافته في

«سان ماتيو» وحياة كاراكاس الهادئة الوادعة التي كانت تتميزها في آخر عهدها بالاستعمار الإسباني ، كان بوليفار شاباً نبيلًا محباً لمتع الحياة الحسية ، وإن كانت العبقورية كامنة فيه بادية الملامح منذ صباه المبكر . ولكنه لم يكد يتصل بالمجتمع الأوربي الذي كان خارجاً لتوه من الحروب النابوليونية الأولى حتى أجمع فيه ذلك الاتصال الجذوة الحامدة : جذوة الرغبة في الحرية السياسية ، ولكن التطلع إلى الحرية في ذلك الوقت لم يكن يمثل في نفس بوليفار إلا محاولة للتفوق على النفس وطموحاً إلى شعور نبيل مستوحى من روح الحضارة الكلاسيكية ، معاد لكل نزعة من الابتذال والديماجوجية .



روح بوليفار بفضل هذا الاحتكاك، ولكن ذلك لم يكن هو المجد الذي قدر له بعد ذلك أن يحظى به ، وإنما كان بريقاً لذلك المجد ، إذ لم تكن الظروف تعين حينئذ على أن تتوهج نفسه بأكثر من هذا البريق . كان بوليفار يتمتع في شبابه المبكر بكل ما يمكن أن يطمح إليه شاب في مثل سنه : مجتد نبيل ، وثروة عريضة أورثته إياها أسرته ، وذكاء وقاد ، ومواهب كثيرة صقلتها تربية أنيقة في وسط غني مرفه ، وذوق مرفه

مقبل على متع الحياة في تعطش ونهم ، وميل إلى الأدب
والفن الجميل .



كان بوليفار قد عرف كيف يستكشف
أعماق روحه فيما بعد فإن تلك القشرة التي
كانت تغطي شخصيته لم تختف تماماً بمرور
الوقت . لقد ظل بوليفار دائماً حتى نهاية حياته ذلك «الشاب
المغرم بكل ماهو جميل» كما قيل مرة عن أفلاطون وعن
طرازه من الأرواح . حتى في بطولته ومجده ظل بوليفار
دائماً هو نفسه الرجل المهذب الأنيق ذا الوقفات التي تصلح
نماذج لتماثيل الخالدين ، والإشارات المهيبة الوقورة التي
قد تبدو مسرحية لأولئك الذين لم يستطيعوا الوصول إلى
استكناه أعماق شخصيته ، غير أنها في الحقيقة ليست إلا
لمسات تكمل صور أمثاله من أولئك الرجال الذين بذلوا
أنفسهم وأرواحهم في جهاد لا ينقطع ، دون أن يتكلفوها
أو يصطنعوا فيها العظمة ، وإنما هي فيض من أرواحهم التي
امترجت فيها البطولة بالإحساس الفني التلقائي . هو شيء
تنبه إليه الناقد الأدبي والفني «تين» حينما شبه في تحليل نفسي
رائع سيف نابوليون بإزميل المثال «ميكيلا نجيلو» ، إذ رأى

في هذا وذاك أداتين من أدوات العظمة وإن كان ميدان الأول هو معامع القتال وميدان الثاني كتل الصخر والرخام .

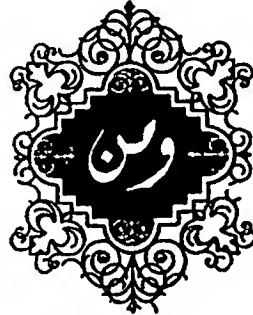


يبدو لنا بوليفار منذ اليوم الأول الذي عاهد فيه نفسه على الكفاح ، حينما صعد في زيارته لروما إلى قمة جبل الآفتينو كأنه نبي صاعد إلى لقاء وحى ربه ، ومن هناك أطل على البحر العريض الممتد أمامه .. بحر الحرية والعظمة . وكأنما كان بوليفار يخاطب ضمير تلك الحضارة القديمة العريقة حينما قطع على نفسه العهد بأن يحرر أمته ويحطم أغلالها . وهكذا أيضاً يبدو لنا بوليفار بعد ذلك في كاراكاس حينما توجه إلى الجماهير المذعورة الخائفة حينما اتفق وقوع زلزال شديد مزق المدينة ، والبلاد في مستهل ثورتها على الاستعمار .. فقد نصب بوليفار قامته في كبرياء على أنقاض كنيسة سان خاثنتو المحطمة وتدفتت من بين شفتيه الكلمات وهو متوجه إلى تلك الجماهير داعياً إلى ضبط النفوس ومواصلة الكفاح في سبيل القضية الكبرى . كانت كلماته في هذا المقام أروع وأوقع في النفوس من صيحة أجاكس المشهورة « إذا اعترضت طريقنا الطبيعة فعلينا العهد بأن نقاتلها حتى نخضعها ونذلل قيادها » .

كان بوليفار هو هو دائماً ... في قلب المعركة ، وفي الانتصار ، وفي دخوله الظافر للمدن التي تغلب عليها ، وفي مزاولته لشئون الحكم ، وفي أثناء الحفلات الأنيقة ، إيماءاته وحركاته وسكناته كانت صورة صادقة خارجية لذلك الشعور الباطني بالعظمة والبطولة . حتى في اللاحظات العصبية التي كان خلالها في ضميم المعركة منقطعاً إلى نشاط محموم فرضته عليه حرب رهيبة قاسية ، لا نرى هناك ما يحول بينه وبين تكريم ذكرى أصدقائه وأعوانه . نحن استشهدوا في القتال على نحو بالغ الفخامة كما حدث عندما أمر بتنظيم ذلك الموكب الحافل ، الذي كان يبدو كما لو كان من نمط تلك الاحتفالات والطقوس الدينية التي كانت شائعة بين الشعوب الوثنية القديمة ، والذي حمل قلب «جيراردو» في صندوق مغلق تحرسه فرق من الجيش من «باربولا» حيث سقط البطل الشهيد حتى كاراتاكاس . ولنشر إلى لفظة أخرى من لفئات الجلالة والعظمة كان لها في نفوس معاصريه أثر عميق وصدى خالد ، هي موقفه بعد انتصاره وبعد أن قامت كولومبيا دولة مستقلة ذات سيادة ، حينما دخل مقر أول مجلس نيابي في عاصمة الدولة الجديدة لكي يعلن على شعوب القارة التي تحررت بفضل نيا تخليه طوعاً عن قيادتها .

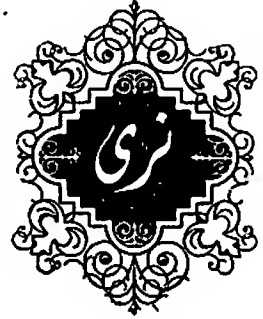
وهو أمام مظاهر الطبيعة الهائلة الرهيبة يحس بأن شيئاً في نفسه يدفعه إلى مباراتها بحيث يصبح هو نفسه أيضاً جزءاً من المنظر الرائع ، بل يتحول إلى سيده ومالك زمامه المطلق .

نرى ذلك في صعوده إلى قمة جبل « التشمبوراثو (١) » ،
 وخطابه الذي ألقاه هناك في أسلوب عنيف صارخ وإن
 كان صادقاً مفعماً بالإخلاص ، لقد كان يتملّكه حينئذ شعور
 بالاعتداد بالنفس والإيمان العميق بأنه قام بتحقيق شيء
 فوق طاقة البشر ، إذ استطاع أن يطأ هامة الجبل الشاهق ،
 وأن يعلو على هضبة « الكونداميني » ، ويصل إلى ما لم يصل
 إليه الرحالة والمستكشفون مثل همبولت (٢) ، ويدع أثراً
 له في مكان لم يخلف أحد قبله أي أثر فيه .



جديد نراه في كولو ميبا على مقربة من مدينة
 بوجوتا متأملاً ذلك الشلال الهائل المتحدر
 على الصخور : شلال تكنداما (٣) بارتفاعه
 الهائل وروعة انصباب المياه من فوقه . وكأننا به وهو ينظر
 إلى روعة المنظر هناك وقد أسكرت الطبيعة روحه بأسرارها
 فإذا به مستغرق فيها كأنه صوفي قد غلبه التواجد والفناء
 في ذات ربه . ويعبر بوليفار مجرى النهر . ويرى هناك في
 النقطة التي يبدأ فيها انحدار المياه الهائل فوق الصخور
 حجراً لا يبعد عن الضفة إلا بقدر ما تستغرقه وثبة رجل .
 ويتوقف بوليفار دون أن يخلع عن قدميه حذاء الركوب
 الطويل الذي يثقله الحديد ، ثم يقفز قفزة هائلة إلى حيث
 ذلك الحجر الأملس الذي صقله ثبج المياه ، ويشد قامته

عليه كما لو كان قاعدة تمثال ، وينظر من فوق ذلك الحجر
دون أن يصيبه الدوار مطلقاً على الهوة السحيقة الرهيبة التي
تكاد تبتلع كل من يرمقها بعينه ! ..



هنا مظهراً من مظاهر شخصيته الكامنة
في أعماق نفسه والتي عبر عنها، وهو في
ريعان شبابه وسنه لا يتجاوز العشرين عاماً.
حينما كان لا يزال مضيقاً زهرة شبابه بين عواصم أوربا .
إذ كان يدلي بهذا الاعتراف في خطاب بعث به إلى صديقه
البارونة « دى تروبريان » :

« أصدقك القول أنه تعجبنى مظاهر الفخامة والترف
أكثر مما تعجبنى اللذات الحسية نفسها ، فمظاهر الترف
تبدلني إلى ممثلة لجو زائف من المجد . صحيح أنه أجوف
لاقيمة حقيقية له . ولكنه مجد على كل حال » . ومثل هذا
التصريح صادر من أعماق طبيعة بوليفار التي لم تعرف التكلف
والإسرار بشيء والجهر بآخر . والحقيقة هي أن بوليفار
في كل أعماله وأقواله كان يصدر عن تلقائية خالصة وإلهام
دفين . وهكذا كان بوليفار : رجلاً ملهماً في كل نواياه
ومقاصده ، مندفعاً حماسياً في كل تصرفاته وأعماله .

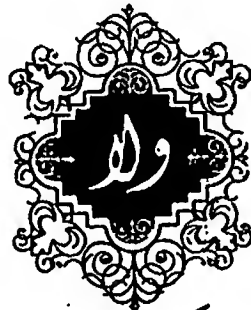
كانت روح بوليفار من طراز تلك الأرواح التي تكمن في قراراتها طريقة غريبة غامضة للتفكير والعمل تخرج عن دائرة الوعي البشرى . هو من نوع أولئك الرجال الذين لا يصدر سلوكهم عن تقدير محكم مترن للأمر . وإنما عن تلك القوة الطاغية النابعة من الغريزة ... من تلك الغريزة الفطرية التي تلهم النحل كيف تبنى خلاياها بنظام لانكاد نرى نظيراً لإحكامه وإتقانه مع أنه لا يخضع لقوانين المنطق الإنساني المتعارف عليها . وهكذا نرى انتصارات بوليفار الرائعة لا تقوم على ذلك التقدير الواعي للأمر . وإنما كان يكفيه فيها الإحساس المفاجيء الذي يشبه ومضة الوحي في النفوس المؤمنة . ثم التنفيذ السريع الذي لا يتوقف أمام دواعي الحذر والتلبث . أما في الهزيمة فنحن نراه وقد تزايدت شخصيته ضخامة وعظمة كما لم نر في أي بطل آخر من أبطال التاريخ ، وكلما زادت فداحة الانكسار وشدته ولد ذلك في روحه قوة جديدة قادرة على مواجهة المحنة والصمود لها . وهو في هذا المظهر نفسه كما هو في وقت الانتصار لا يصدر عن تجربة ووزن للاحتمالات ، وإنما تصدر أعماله عن ردود فعل فطرية مباشرة غير واعية . وما أصدق تلك الكلمة التي قالها عنه غريمه الجنرال الإسباني موريو وأجمل فيها صفات بوليفار في وقت المحنة : « انه أبعث للخوف والرهبة في هزيمته منه في انتصاره » .

والذى يتأمل حملات بوليفار يرى أنها لم تكن ثمرة خطة منتظمة رسمت بمنهج محكم أو بتقدير يربط الأسباب بالنتائج ويزن قوته بقوى أعدائه وخصومه . لا ... لانرى شيئاً من ذلك وإنما هى هجمات هائلة تتعاقب كأنها أمواج بحر لا يعرف المرء فيه أين تبدأ هذه الموجة ولا أين تنتهى تلك ، وتمضى هذه الحملات : ضربة هنا وضربة هناك ، وقد تنكسر حملة ويقضى على آخرها ، ولكن لا تلبث أن تنطلق أخرى فى مكان لا يتصوره الخصوم ، ولا تزال الضربات تتوالى حتى تصل الى الحد الذى لا يكون بعده مجال للتراجع أو الاستسلام ، حينئذ نرى الانتصار ماثلاً قوياً ، بل هو يزداد قوة وتوطداً ، وينتشر من مكان إلى آخر كأنه سيل جارف ينساح على سلسلة جبال الأنديز : كل جبل منها يتحول إلى معلم من معالم النصر الكبير الساحق .



يرأى أحد من أبطال التاريخ كما رأى بوليفار من تعاقب الانتصارات التى كانت تبدو حاسمة نهائية ، والهزائم التى لا يشك غيره من القادة والزعماء فى أنها هى القاضية التى لا مجال بعدها للنهوض من العثرة ، ومع ذلك فلا الانتصار ألقى على بصره غشاوة من الغرور ، ولا الهزيمة فتت من عضده أو ألحقت به اليأس والاستسلام .

في لحظة من اللحظات رأى بوليفار نفسه تائراً انه
أمره الى الفشل فأصبح طريداً لعدالة السلطات الحاكمة ،
فقيراً تأخذ بمخنته الضائقة المادية . ومع ذلك فإننا نراه في هذه
الظروف البالغة السوء يضطلع بعمل عسكري كفل له ذروة
المجده الشهرة . نحن نغني بذلك حملته المذهلة التي قادها
في سنة ١٨١٣ ، بينما لم يكن عدد رجاله يتجاوز خمسمائة .
بهؤلاء الرجال بدأ بوليفار تلك الغزوة التاريخية التي استغرقت
مائة يوم متوجهاً من سفوح جبال الأنديز في غرناطة الجديدة
(جمهورية كولومبيا الآن) حتى قصر القيادة الإسبانية العامة
في كاراكاس (فتزويلا) . وفي نهاية هذه الحملة استطع نجمة
في تلك العاصمة ويرتبط اسمه إلى الأبد باستقلال أمريكا
اللاتينية . فيدعي منذ هذا التاريخ بذلك اللقب الذي أصبح
علماً عليه . « محرر القارة » .



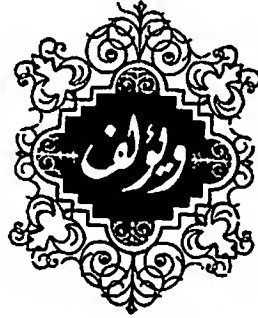
يمضي على هذا الانتصار الهائل عام واحد
حتى نرى بوليفار هارباً لاجئاً إلى سواحل
البحر الكاريبي . وقد تخلى عنه أتباعه
وتنكروا له . وبدأ كما لو أن كل ذلك المجد قد استحال
إلى دُخان . وأن هالة العظمة التي توجت رأسه لم تعد تشفع
له إزاء غصبة أولئك الذين كانوا يمدون إليه أصابع الاتهام

ويسيثون إليه أبلغ الإساءة . ولكننا نرى هنا كيف تتكرر المعجزة : ففي الوقت الذي أطل فيه الشامتون والمتربصون لينظروا ، أين يذهب بوليفار لكي يجتر مزاراة الهزيمة والهوان ، إذا بهم يرونه هناك متربعاً على الذروة من جديد : في « غرناطة الجديدة » (كولومبيا) وقد قبضت يدها على زمام الأمر بعد أن خال الجميع أنه قد أفلت منه إلى الأبد . وإذا به يدخل بوجوتا دخول الظافرين كما دخل إلى كاراكاس من قبل ، حاملاً إليها الحرية والكرامة .



صفحة هذا الانتصار . ومرة أخرى نرى بوليفار وقد عصاه أتباعه وأرغم على أن يتخلى لمنافس مغمور عن الأسلحة التي كان يستعد بها لمعاودة الكرة على فنزويلا . ويبدو أن نجمه قد أفل ، ولكننا لانبث أن نراه يعود للظهور ... هذه المرة في « هايتي » ، ومن هناك يقود حملتين متواليتين لإرساء قواته على أرض القارة . ولكن محاولته تفشل في المرتين . بل تنتهي الحملة الأخيرة بسحق كل قواته والتشهير به . وتركه وحيداً يواجه تهجم العامة واستهزاء بعض منافسيه الصغار به وتوقعهم عليه .

غير أن الحكم والقيادة كانا شيئاً طبيعياً فطرياً في نفس بوليفار ... شيئاً ذا قوة قاهرة لا تقاوم ، كأنه إرادة الطبيعة نفسها ، فلا يمر وقت قصير حتى تصمت هذه الأصوات التي انطلقت متنكرة له حاقدة عليه ، يعود منافسوه الصغار الى السمع له والطاعة ، وترجع إلى يديه مقاليد الثورة ... ويحط بوليفار رحاله في « غوايانا » حيث يضم له « بيار » تأييده العسكري من أجل تنظيم حملة جديدة ، ويمتد لهيب الثورة إلى سهول وادي « الأنورى » في فتزويلا حيث تغلى نفوس الرجال الذين جندهم الجنرال « بايث » (٤) بالتأييد المطلق لبوليفار واستعدادهم لفدائه بأنفسهم .



البطل حكومة جديدة ولكنه يواصل القتال ضد أعدائه ، بل وإخماد الثورات التي يشبها بعض أنصاره ورجاله . ويعود سوء

الطالع . لتعقب خطوات بوليفار : في « لابورتا La Puerta » وفي « أورتيث Ortiz » وفي « رنكون دي لوس توروس Rincón de los Toros » . وتتوالى عليه الهزائم . وفي ليلة من الليالي بعد الهزيمة الأخيرة نرى رجلاً بلا رفيق وبلا جواد يتلمس لنفسه مهرباً مختفياً بين أدغال الغابات . وهناك يقضى ليلته حتى إذا أطل عليه نور الفجر إذا به وقد

اجتمع حوله عدد من الفرسان وهبوا أنفسهم لحمايته ، ثم
ها هو ذا يسير على رأس هذه الفرقة الصغيرة ماضياً في
طريقه ... هذا الرجل هو بوليفار الذي انكسر جيشه وتفرق
عنه رجاله ، وفقد الحكم والسلطة ، ولكنه يواصل المسيرة ...
إلى أين ؟ ما دام بوليفار على قيد الحياة فلا بد أن مسيرته
لتأليف جيش جديد وإقرار سلطة جديدة .. وهكذا كان .
لقد استطاع البطل بالفعل أن يفعل هذا ، ذاك ، وما هو
ذا في كرسى الحكم منتخباً من قبل الجمعية الوطنية لممثل
الشعب كله ، أما الجيش فقد أعاد تكوينه ، بل هو الآن
جيش نظامي أقوى وأحكم تنظيماً من جميع الجيوش السابقة
التي حاربت تحت قيادته .



هذه هي اللحظة التي بدا فيها كيف استطاعت

إرادة بوليفار الصلبة التي لاتلين أن تفرض

نفسها ووجودها ، فتحول تردد المتخاذلين

المتشككين إلى تأييد خالص . ومن جديد تنوهج في نفس

بوليفار إشراقة العبقرية الملهمة ، فمهديه إلى الطريق التي

تضمن لثورته النصر ، وهي الكفاح المسلح لاسترداد « غرناطة

الجديدة » (كولومبيا) . ولكن هذا يقتضي تسليح جبال

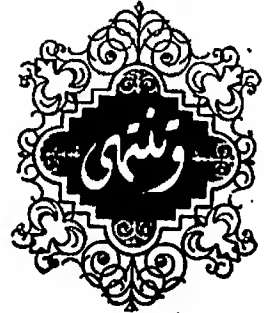
الأنديز الشاهقة بعد خوض عدد كبير من البحيرات واجتياز

مجارى أنهار واسعة . وكل ذلك فى فصل شتاء قارس وىجنود
شبه عراة . وىضطلع بولىفار بهذه المهمة البطولية التى هى أشبه
بملاحم الأساطير .



نعرف على طول التاريخ عمليات عسكرية
مشابهة اجتاز فيها بعض القواد العظام سلاسل
من الجبال الشاهقة ، وقد يكون من بعض
هذه العمليات ما تم بطريقة أمهر وعلى أساس من خطة
استراتيجية أكثر إحكاما ، ولكننا لانعرف لما قام به بولىفار
مثلا فى الجراة والبطولة الأسطورية . لقد صعد بولىفار على
رأس عدد كبير من الرجال يبلغ ألفين وخمسمائة من السفوح
الشرقية لسلسلة جبال الأنديز حتى بلغ قممها ، ومن هناك
بدأ النزول على المنحدرات الغربية ، وقد تناقص عدد رجاله
الى حد كبير . بل كان من بقى معه حياً من أتباعه قد تحولوا
الى ما يشبه الأشباح ، ولكنهم كانوا أقوى أصحابه أجساماً
وأصلبهم إرادة ، أما الباقون فقد تخلفوا مدفونين فى الجليد
الذى يكلل هامات الجبال أو جرفهم تيار الأنهار الصاخبة
أو ماتوا مختنقين بسبب قلة الهواء وتخلخله . وبهؤلاء الأشباح
الأقوياء الذين بقوا على قيد الحياة كسب بولىفار معركة
« بويাকা Boyacá » التى فتحت الطريق الى الهضبة التى تتوسط

كولومبيا ، وفي طريق العودة ينتصر بوليفار بهؤلاء الرجال أنفسهم في «كارابوبو Carabobo» التي تتحكم في الطريق إلى الشرق حيث كاراكاس . ومنذ هذه اللحظة تنهار السلطة العسكرية الإسبانية في أمريكا الجنوبية من مصب نهر «الأورينوكو» حتى مضيق بنما ، ولنا أن نقدر قيمة هذه الانتصارات اذا ذكرنا أن قوة اسبانيا العسكرية في هذه المناطق كانت قائمة على صفوة الجيوش الإسبانية نفسها لا على الجنود الذين حشدتهم اسبانيا وجندتهم من بين شعوب مستعمراتها كما كان الأمر في سائر بقاع أمريكا الجنوبية ..

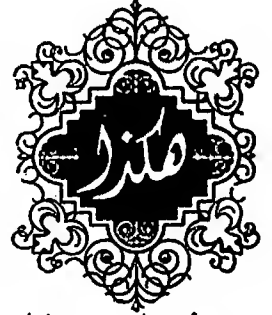


تلك الحرب بكل ما فيها من تصاريف الأقدار من تذبذب بين النصر والهزيمة . ويرى بوليفار نفسه وقد أتم مهمته في شمال قارة أمريكا الجنوبية . ويقوده الانتصار الكبير إلى أن يتجه بنظره إلى الجنوب حيث يلتقي جيشه المظفر حامل لواء الحرية بجيش آخر للتحرير صاعد من جبال الأنديز الأرجنتينية . بعد أن سجل انتصاره بدوره على قوى الاستعمار في «تشاكابوكو Chacabuco» وفي «مايبو Maipo» . لقد استكملت كولومبيا العظمى حدودها بعد أن تمكنت من تحرير أكوادور بجبالها البركانية ، وأصبح هذا الشطر الكبير من أمريكا الجنوبية حراً إلى الأبد .

ولكن بوليفار لا يكفيه تحرير هذا الجزء الهائل من القارة ، فهو لا يعتبر كولومبيا وحدها وطنه . بل وطنه هو أمريكا كلها . وهناك في جنوب القارة بطل آخر تختلج نفسه بنفس الآمال : هو سان مارتين San Martin ،

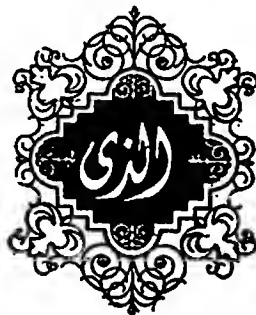
ولكن المجدد المعقود لتحرير القارة لا يمكن قسمته بين اثنين ، فإلى من تدفع راية الاستقلال من الرجلين : إلى بوليفار أم إلى سان مارتين ؟ الحقيقة هي أنه لا مجال للمفاضلة بين البطلين ، بل إن مثل هذه المفاضلة لم تخطر لهما على بال ، فقد كانا يكفهما إحساس بوليفار بأنه هو القائد الحقيقي ، واعتراف سان مارتين بتلك الحقيقة وتسليمه بها في تواضع نبيل . وهكذا يكون على بوليفار نفسه أن يتوج حرب التحرير في الجنوب كما توجهها في الشمال . ويواصل مسيرته حتى يدخل لима عاصمة بيرو ثم يستكمل انتصاره بدخول كوئكو Cuzco وتشوكيساكا Chuquisaca وبوتوسي Potosí . كما دخل من قبل بوجوتا وكاراكاس وكيتو ، ويصبح بوليفار هو محرر أمريكا بغير نزاع . وبينما يستعد الجيش الإسباني الأخير للمعركة النهائية وقد حشد لها كل ما استطاع من رجال وعتاد يستعد هو لهذا اللقاء ، ولكن المرض يصيبه ويهد من قواه ، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يسألونه وهو لا يزال بعد واهن الجسد : « ما الذي تفكر الآن في عمله ؟ » ، فيجيب في بساطة متناهية تكاد تصل إلى حد السذاجة : « الانتصار ! » ...

وينتصر ... ينتصر بعد أن تطأ قدماه جبال الأنديز على ارتفاع لا يكاد يبلغه إلا العقاب الأمريكي الذي يعرف باسم « القنذر » ، ويعيد ملحمته الماضية في « بويাকা » على أيدي رجاله وتلاميذه من أمثال « سوكرى Sucre بطل موقعة « أياكوتشو Ayacucho » ، حيث سلم أربعة عشر قائداً إسبانياً برتبة « جنرال » سيوفهم دلالة على الاستسلام ، وبهذا أعلنوا تخلي بلادهم عن تلك التركة الأمريكية الهائلة التي قدمها كريستوفر كولمبوس بين يدي الملكين الإسبانين فرناندو وإيزابيل منذ ثلاثمائة سنة .



يتم بوليفار أداء رسالته ، ولكن البطولة الحقة لا تعرف حدوداً تقف عندها . فهو لا يزال يحلم بالكثير : يحلم بالوصول إلى ضفاف نهر « البلاتا » حيث بقي شعب لم ينل حريته بعد على الرغم من انتصار « أياكوتشو » ، وبوليفار يريد أن يكون كذلك هو محرر ذلك الشعب ، وهو يحلم أيضاً بسحق الحيوش الامبراطورية التي لا تزال مهيمنة على البرازيل وإعلان الجمهورية في تلك الأرض التي ظلت تحت نير نظام ملكي . إن أمريكا بأسرها هي ميدان آمال بوليفار ، وهو لذلك يفكر في الصعود على طول مجرى نهر الأمازون الهائل

كما فعل الإسكندر الأكبر وهو مصعد في أنهار بلاد الشرق الغامضة :، حتى يستكمل الدائرة ويعود إلى بلاده. فتزويلا (أو كولومبيا العظمى) من حيث بدأ . ويحقق بذلك حلمه في توحيد أمريكا الناطقة بالإسبانية ، وهو حلم تمثل في « مؤتمر بنما » الذي كان بوليفار هو عقله المفكر وإرادته المحركة . بل إن آمال البطل لاتقف عند ذلك ، فهو يريد أن يذهب على رأس جيشه يجتاز المحيط الهادى ويحرر جزر الفيليين المستعبدة . وهو يطمع في تحرير جزر الكاريبي وجزر كنارياس . بل هو يسعى . إلى ما هو أكثر من كل هذا : يسعى إلى حمل نور الحرية إلى أرض أجداده : إلى إسبانيا . فينقل إليها المبادئ الجمهورية التى انتصرت على يديه في أمريكا . غير أن الظروف التى تحيط بأمريكا وتثقلها بالقيود تجعل كل هذه المشروعات مستحيلة التحقيق . وهكذا يكتفى التاريخ بأن يسند إلى بوليفار ذلك الدور الذى أصبح بطله بغير نزاع : تحرير القارة الأمريكية ؟ ...



ننتهى إليه من تأمل شخصيته بوليفار وحياته هو أن مجموع العناصر التى تتألف منها شخصيته بما فيها من بطولة عارمة خارقة للعادة يجعل من بوليفار طابعاً منفرداً بذاته بحيث لا يمكن أن

يخلط بينه وبين شخصيات مختلف أبطال التاريخ . وهذه الأصالة نابعة من نفسية البطل نفسه وكل ما ميزه من صفات وخصائص ، كما أنها نابعة من الاتصال الوثيق بين سلوكه وأعماله والظروف الخاصة للبيئة التي مضت حياته في إطارها .



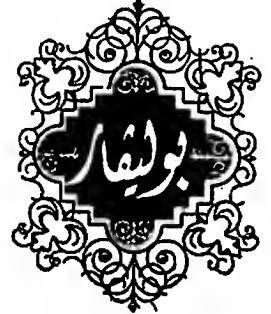
هنا نلمس وجوه الاختلاف بين بوليفار وذلك البطل الآخر الذي يعتبر مشاطراً له في مجد تحرير أمريكا الناطقة بالإسبانية ، تعني الأرجنتيني سان مارتين ، والاختلاف بين الرجلين يجعل المسافة بينهما شقة واسعة وبوناً سحيقاً ، فالحقيقة هي أن سان مارتين يمكن أن ننزعه من البيئة التي مضت حياته على مسرحها وننقله إلى بيئة أخرى دون أن تفقد شخصيته شيئاً من معالمها . هو بطل حقاً ، ولكنه من طراز اعتدنا أن نراه في تاريخ الشعوب على اختلاف الزمان والمكان . هو أشبه بتمثال للبطولة كانت قاعدته هي جبال الأنديز ، ولكن يمكن لنا أن نستبدل هذه القاعدة بقاعدة أخرى في أي مكان: يمكن أن تكون جبال البيرينيه أو الألب أو روكي دون أن نجد في ذلك ما يفجأنا أو يبدو غريباً علينا . ولتصور سنان مارتين مثلاً قائداً إلى جوار الفرنسي الفيكونت دي لاتورين Vicomte de la Turenne (٥) فإننا نلاحظ أنه كان يصلح فعلاً

لأن يكون وريثاً له ، ولسيفه المترن الذي يعرف كيف يحسن التدبير والتقدير . ولما كان يميزه من نبل وصرامة بسيطة غير متكلفة . ولتتخيل سان مارتين إلى جوار جورج واشنطن (٦) محرر الولايات المتحدة . إنه يبدو لنا صالحاً لكي يكون أبرز قواده وأعظم تلاميذه . ولتتخيله في صفوف رجال الثورة الفرنسية وعصر الامبراطورية فلن نجد صعوبة في أن نجده ماثلاً الفراغ الذي تركه القائد لازار هوش Lazare Hoche (٧) مما كان يميزه من نكران الذات وإيثار التضحية ، أو المكان الذي خلا حينما حكم على القائد المترن الحكيم جان فيكتور مورو Jean-Victor Moreau (٨) بأن يخرج من بلاده منفياً مضطهداً فانضم إلى صفوف أعداء بلاده.



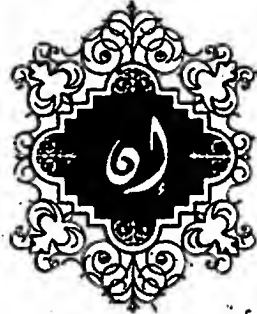
مارتين (٩) يمكن أن يعتبر - بصرف النظر عن المهمة الكبيرة التي ناطها به القدر - نموذجاً مجرداً للقائد العسكري من ذلك الطراز المؤلف الذي نجده في كل الحروب المنظمة . نموذجاً لا يقتضى قدراً كبيراً من الأصالة أو التفرد . وإنما تكفى فيه مجموعة من الصفات والخصائص الممتازة أهمها الذكاء اللامح والإرادة الصلبة القوية . وهي صفات يمكن أن تتوفر في أفراد كثيرين تنتجهم الأجيال البشرية على اختلاف الزمان والمكان

أما شخصية بوليفار فتختلف عن سان مارتين اختلافاً جذرياً . إذ لا يمكن تصورهما إلا كما كانت في الواقع ، ومن العسير أن نتخيله في قارة أخرى غير أمريكا الجنوبية أو مكافحاً في سبيل حرية غير الحرية الأمريكية ، وإلا انجرفنا ببوليفار عن غير طريقه ، وبدت شخصيته لنا ناقصة مشوهة . إن بوليفار الثائر ، القائد ، الخطيب . الزعيم . المشرع . الرئيس ، كل ذلك في وقت واحد وعلى نهج خاص - مثل خالص للأصالة الفذة التي لا نكاد نراها تتكرر ، ومن مظاهر هذه الأصالة نفسها البيئة التي عاش في رجاها والوسائل التي كانت بين يديه لكي يحقق بها رسالة حياته .



لم يحارب قط كما كان يحارب القواد العسكريون الأوروبيون ، وهو لم يستلهم من أبطال التاريخ قبله شيئاً إلا بعض العناصر المتفرقة المتناثرة في التجارب الإنسانية السابقة دون أن يضع نصب عينيه تجربة بذاتها يتخذ منها نموذجاً له ، وهو بعد ذلك لم يخلف لنا صورة تشبه أياً من صور الأبطال السابقين . هو نسيج وحده ، ومن أجل ذلك يستولى على مشاعرنا وأحاسيسنا على نحو جبار أخاذ ، وسيظل

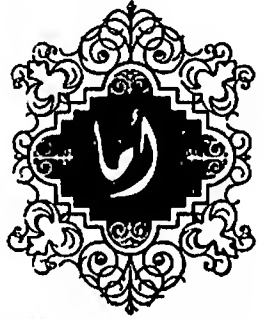
إلى الأبد في أذهاننا - نحن الأمريكيين - رمزاً للبطولة
في أنقى صفاتها ، ممثلاً خالصاً للوحدة الأمريكية الإسبانية .



في عظمته وسموه يمثل شيئاً أكبر بكثير مما
نراه في تلك المقومات التي انفرد بها زعماء
هذه الرقعة من الأرض والتي وسمتهم بميسم
أصالة شبه متوحشة ، إذ فيه تتجسم كل الخصائص الأصيلة
التي طبعت تاريخ بلادنا . بوليفار هو طينة أمريكية تلقت نفحة
من العبقرية ملأت نفوس شعبه بعطرها وطعمها الغريب .
وأشعلت فيهم جذوة حية من بطولة أصيلة لاتشبه غيرها من
البطولات .

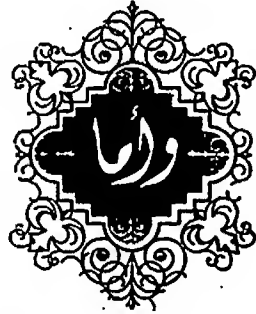
إن ثورة أمريكا الجنوبية في سبيل الاستقلال قد اتخذت
لها منذ البدء مركزين كبيرين انطلقت فيهما ثم انتشرت في
سائر أنحاء القارة ، وهذان المركزان هما حوضا نهر الأورينوكو
(فنزويلا) ونهر البلاتا (الأرجنتين) ، وكان هناك تشابه
كبير بين هذين المركزين الثوريين سواء في الطابع أو في
الصورة . ففي كليهما نجد خطوة مبادرة بدأتها المدن ، ونعني
بها الثورة الفكرية ، وتلاها تمرد الجماهير في الحصول
والريف ، وهي الثورة المنبثقة من قوى الغريزة القطرية

أما روح المدن فقد بلغت مرحلة من النضوج كفلهما تطور الحياة فيها وتأثير الأفكار الجديدة الى انتقلت إليها من الخارج ؛ وأدى ذلك إلى ظهور فكرة الوطن باعتباره رابطة سياسة ومفهوم الحرية التي يجب أن تراول في إطار نظم قانونية مستقرة .



وسائل العمل من أجل تحرير أمريكا الإسبانية فكان أهمها المؤتمرات الشعبية، والدعاية الخطائية، والتنظيمات العسكرية الشعبية . غير أن الحضارة التي أتت بها الاستعمار الإسباني لتلك الأراضي الواسعة لم تكن تعين على إيجاد حركة منظمة للمقاومة الواعية المدركة . فعلى طول هذه السهول الممتدة إلى غير نهاية : سهول فنزويلا المعروفة باسم « الليانوس Llanos » من وادي كاراكاس إلى ضفاف نهر الأورينوكو ، وسهول الأرجنتين المعروفة باسم « البامباس Pampas » المنحدرة من سفوح جبال الأنديز والواصلة إلى ضفاف نهري « البارانا » و « الأورجواي » - نقول إنه على طول هذه الرقعة الهائلة حاول الاستعمار أن يقتحم مجاهل الصحراء وأحشائها ، ولكنه كان يجد في اتساع تلك الأرض الرهيب ما يقف دونه عقبة كئوداً . على أن تلك البيئة لم تنتج إلا عدداً

محدوداً من السكان يحيون حياة التنقل والرحلة ، إذ كانوا يشتغلون بالرعى نصف الهمجي ، على صورة شبيهة بحياة البدو من سكان صحراء الجزيرة العربية ، أو العبريين في أيام ابراهيم أو يعقوب عليهما السلام . وكان هؤلاء أكثر استقراراً على صهوات جيادهم منهم على صفحة الأرض ، يرون في هذه الفروسية ضماناً لتحكمهم في تلك الطبيعة الهائلة الرهيبة وسيطرتهم عليها .



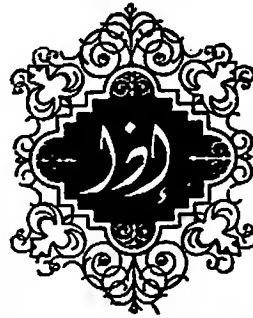
سيد هذا المجتمع القبلي غير المتسق ولا المتناسك فقد كان ذلك الفارس الذي يدعونه « البانيرو Llanero » (أى رجل السهول)

في فنزويلا و « الجاوتشو Gaucho » في الأرجنتين . هذا البطل الذي هو أشبه ما يكون بذلك المخلوق الأسطوري الذي تحدثنا عنه الميثولوجيا الإغريقية واصفة إياه بأن له رأساً وصدرًا بشريين ركبا على جسد جواد ، فرجل السهول يعيش على صهوة جواده كأنما نحت هو والحصان من طينة واحدة مشتقة من تراب الأرض الأمريكية ومن مزيج من دماء الهندي الأحمر والفاتح الإسباني ، ثم أيبسها شمس الصحراء المحرقة وريحتها اللافحة . رجل السهول نموذج رائع غريب البطولة البشرية في فطريتها وتلقائيتها ،

ففيه تتمثل القوة الخارقة القادرة على مواجهة الطبيعة والتغلب عليها ، وهو لذلك شخصية ملحمية الطابع خلاصة الألوان ، ومن فحولتها استمد المصير الأمريكى كل ما حفل به تاريخ القارة من بطولات مجيدة رائعة . والواقع هو أن هذا المجتمع القبلى الصحراوى الذى كان يدور حول محور « الفارس رجل السهول » كان بعيداً فى أول الأمر عن كل فكرة قومية بمعنى الكلمة ، وعن الإدراك الواعى للمبادئ المتعلقة بالحقوق السياسية التى كان ينادى بها رجل المدينة ممن نال قسطاً من الثقافة واطلع على تجارب الأمم الأجنبية . غير أن بطل استقلال أورجواى خوسيه أرتيجاس José Artigas (١٠) عرف منذ البدء كيف يربط بين فروسية « الجاوتشو » وفكرة الاستقلال فاستغل قوة فرسان السهول البدائية وجندها فى خدمة قضية التحرير ، هذا بينما قام القائدان الإسبانيان بوفيس Boves (١١) ويانيتش Yanez فى الشمال بتجنيد هذه القوة الطاغية فى خدمة الاستعمار الإشباني . وأخيراً عرف القائد الفنزويلى الكبير الجنرال يانيتش كيف يستخدم قوة فرسان السهول من جديد وبصفة نهائية فى نصر قضية الكفاح من أجل تحرير أمريكا .

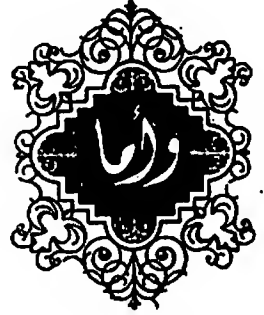
وذلك لأن الإحساس الحى المتوثب بالتوق إلى الحرية ، وهو الذى كان المحرك الأعظم لتلك القوة المتفجرة لحوض الحرب كان فى ظل هذه البيئة مجرد إحساس بالحرية المطلقة دون أن ترتبط بأى مفهوم سياسى ولا حتى وطنى .. الحرية

بمعناها البدائي الحمجي ... الحرية الفردية التي لا تعترف
بشريعة إلا شريعة الفطرة والطبيعة . والتي لا يشبعها
إلا الانطلاق الكامل على عرض الفضاء الفسيح متخطية كل
سياج من القانون والعرف الاجتماعي ... تلك هي حرية
العشيرة أو القبيلة البدوية ، وهي التي رأيناها في أشد أوقات
التاريخ حرجاً وأكثر أزماته حدة تخرج كالإعصار فتدمر
الحضارات المتداعية التي نخر فيها الفساد ، لتقيم مكانها عالماً
آخر جديداً تسطع فيه ومضات من السداجة والفحولة في
آن واحد .



كانت هناك سلطة يمكن أن تتمشى مع هذه
الغريزة الحرة إلى أبعد حد فإنها لا يمكن
أن تكون إلا سلطة الفرد القادرة على توجيه
هذا التيار العارم دون محاولة لصدّه أو الوقوف دونه .
وهذه السلطة الفردية لا يظفر بها في مثل هذا المجتمع إلا من
توطدت له أعلى مكانة إما لكونه الأقوى أو الأشجع
أو الأقدر . ومن هنا نشأت فكرة « الزعامة » وسيادة
« الزعيم » على الجماهير النزاعة إلى التمرد والتحلل من كل
قيد ولا سيما في الريف والبادي . والزعيم هنا أشبه شيء
بشيخ القبيلة البدوية أو الزعيم الجرمانى البدائي الذي

كان يلتف حوله أفراد قبيلته من المحاربين الذين لا تجمع بينهم رابطة إلا صلة الرلاء البنوى لشخصيته القوية القاهرة .



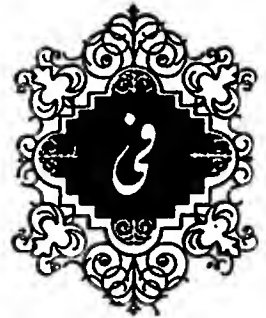
في أمريكا اللاتينية فإن سلطة هؤلاء الزعماء القبليين في ذلك الضرب من الديمقراطية المتبربرة قد تحولت إلى رافد ينصب في تيار الثورة التي كانت موشكة على الاندلاع . وشيئا فشيئا أصبح لدى الناس وعى بهذه الحركة وبدأت تنجه اتجاهاً شعبياً مضاداً للاتجاه الأرستقراطي الذي كان في طريقه إلى التأصل في المدن ، أما في المعارك التي كانت أمريكا مقبلة على خوضها في سبيل التحرر ، فإن هذه النزعة الشعبية قد طبعها بطابع ملحمي بطولى فضلا عما غلب عليه من أمريكية خالصة تميزها عن مثيلاتها في التاريخ . وهكذا بدأنا نرى هذه الحركة في مواجهة الجيش النظامي أحيانا ومتحالفة معه أحيانا أخرى ، وأصبحنا نراها تستخدم أساليب عسكرية استراتيجية لا تقوم على علم بفنون الحرب ، وإنما على الإلهام الغريزي الذي كثيراً ما يكون أقدر على الحركة من التخطيط العلمي المنظم ، هي الحرب الشعبية التي تقوم على الضربات السريعة الخاطفة ، تضطلع بها تلك الكتائب التي عرفت في أمريكا باسم « المونتونيراس Montoneras » ، وأساليب هذه

المجموعات القتالية تستعيز عن التخطيط والنظام العسكريين بالبسالة الطاغية، الحركة، السرعة والاندفاع المتهور، هو شيء يقوم قبل كل شيء على الفروسية... على المهارة في السيطرة على الحصان الوحشي الجامح الذي لم يكبد يستأنس بعد. حتى إن الفارس والجواد يتحولان إلى كتلة واحدة. إلى مخلوق واحد يذكرنا بذلك الخرافي الذي عرفته الميثولوجيا الإغريقية باسم «القنطور». الفروسية التي لا غنى فيها عن الرمح الذي يعرف الفارس كيف يسدده وينقض به كالصاعقة متحولاً بفضلها إلى السيد المطلق للسهول الفسيحة المترامية.



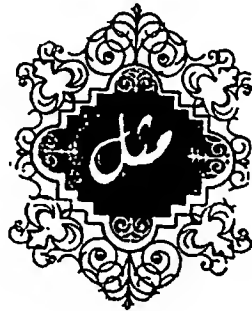
عرف بوليفار كيف يخضع لسيطرته وسلطته تلك القوة الجبارة حتى أصبحت عنصراً مستكملاً للقوة الأصيلة التي كانت تشعها آراؤه ومبادئه. هذا وإن كان بوليفار في الأصل رجلاً مثقفاً تربى في المدينة وهدبته أساليب الحضارة وعرف استراتيجية الحرب النظامية. لقد استطاع بوليفار أن يجمع بين هذين التقيضين: ففيه التأمّت القوة الفطرية الغريزية التي ميزت الثورة الأمريكية والتخطيط المنظم المنبثق عن علم وتشبع بالثقافة. والغريب أن مثل هذا الرجل المدني

المتحضر استطاع أن يتمثل البيئة البدوية ويتأقلم معها بل أن يتمكن من قيادة رجالها الشديدين مراسهم العسير قيادهم . وهكذا سرعان ما نرى بايث Paez زعيم فرسان السهول بعد أول لقاء له مع بوليفار يعترف بزعامته ويعلم تبعيته له . وكان بوليفار قد استعاد هيئته ومكانته التي كانت قد تحطمت بعد هزيمته في حملة « لوس كابوس » المشؤمة . ومنذ تلك اللحظة قبضت يدا بوليفار على زمام الثورة الأمريكية : في المدينة المثقفة المتحضرة وفي السهول والمراعي البدوية شبه المتوحشة . ونحن نرى ثمرة ذلك في حملته الحافلة بالأحداث خلال سنتي ١٨١٧ و ١٨١٨ : إذ نرى كيف اجتمعت فيها انطلاقا الزعيم البدوي الشجاع المحارب بفطرته . ومواهب العسكري الناضج الذي يعرف كيف يرسم الخطط ويدير المعارك .



سهول وادي « الأبوري Apure » الشاسعة الموحشة يعيش بوليفار مع أولئك الجنود ذوى البطولة الجبرية البدائية . ومن هؤلاء سيتألف الجيش الذى سوف يقتحم وراءه قمم الأنديز الشاهقة . ومنهم ستكون الطلائع التى ستحقق أروع انتصار فى معركة « كرابوبو » . كان على بوليفار أن يفرض قيادته وسلطته فى

هذه البيئة التي لاتدين إلا بالرجولة المطلقة . وقد استطاع بالفعل أن يستأثر بألباب أولئك الرجال هناك حينما رأوا كيف يعتبر نفسه واحدا منهم لا يختص دونهم بأى مزية . فإذا جد الجد رأوه يمارس ما يمارسونه هم من أعمال ورياضيات ، بل يفوقهم فيها ، فهو فارس يجيد كل فنون الفروسية ، وهو يعرف كيف يروض أشد الحيات وحشية وجموحاً ، وكيف يثبت على صهوة الجواد المنطلق فى المرج الفسيح كالإعصار وراء الظبي النافر . إن بوليفار الأديب الكاتب الخطيب «ألكيادس» (١٢) عصره ، الدبلوماسى المحنك ، الذى قضى صباه فى كاراكاس فى ظل حياة مرفهة ناعمة ؛ - كان يعرف إذا اقتضى الأمر كيف يصبح « فارس السهول » فى فتزويلا أو « الجاوتشو » فى مراعى الأرجنتين .

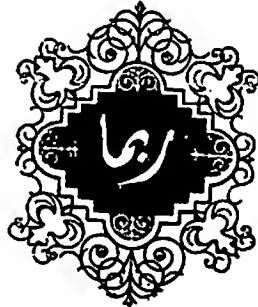


هذا الاحتكاك المباشر القوى بين بوليفار والبيئة الأمريكية الخالصة بما فيها من فتوة بدائية لا تراه أبداً فى حياة زعيم آخر مثل سان مارتين الأرجنتى ، فقد فارق سان مارتين بلده وهو صغير ، ولم يعد إليه إلا بعد أن ناهز سن النضوج ، ولم يكن يربطه ببيئته الأولى خلال ذلك الزمن الطويل إلا صورة بعيدة باهتة ... صورة تكفى حقيقة لكى تؤجج نار الحب

للوطن والإخلاص لقضيته . لكنها لا تكنى لكى يتمثل الرجل بيئته الأولى ويصبح جزءاً منها عميق الإحساس بها . ولقد عرف سان مارتين كيف يضطلع بمهمة تنظيم حركة التحرير فى جنوب القارة وقيادة جيوشها ورسم الخطط الاستراتيجية لها دون حاجة إلى التشبع بالروح الشعبية الأصلية التى كانت فى انطلاقتها العارم واختلاجاتها الفوضوية لاتتفق مع روح الجندية التى تخضع لنظام عسكري صارم . صحيح أنه كان تعاون وثيق بالفعل بين جيوش سان مارتين النظامية وكتائب حرب العصابات التى كان يقودها « حويمس » (١٣) والتى كانت مؤلفة من فرسان السهول « الجاوتشوس » . لكنه كان شيئاً عارضاً لم يغير من جوهر الأمر ولم يضيق الشقة بين بوليفار وسان مارتين . فى جنوب القارة (الأرجنتين) كان لثورة التحرير مجالان منفصلان أحدهما للقائد العسكري فكان من طراز سان مارتين وبلجرانو (١٤) وروندو (١٥) وأما الزعيم الشعبي فهو ما تمثله لنا شخصيات أرتيجاس أو جويمس أولوبث . الأول هو الذى يعرف كيف يحرك الجيوش النظامية ويضعها فى خدمة السلطة المدنية ، والثانى هو الذى يثير الجماهير ويؤلف بينها حول شخصيته القوية ومكانته الوطيدة فى نفس الشعب التأثير .

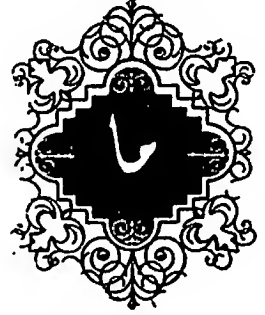
أما بوليفار فهو النموذج الفريد الذى امتاز فيه الطرازان ... بوليفار هو أرتيجاس وسان مارتين معاً . بل

يتعين علينا أن نضيف إلى هذين كثيراً من ملامح الفيلسوف الكاتب مورينو (١٦) حتى نستقصى جانباً آخر من جوانب شخصية بوليفار الخطيب والمفكر الثورى . فى هذا الرجل تجسدت قوى الثورة الأمريكية كلها ، وعرفت مواهبه الفذة كيف تغطى كل ألوان نشاطها منذ أن فتح طريقها وفجر طاقاتها فى مبدأ الأمر وهى تخطو أولى خطواتها . فقد استهل عمله الثورى متأمراً على السلطات الاستعمارية داعية من أجل التحرير ، ثم واصل هذا العمل وهو مبعوث دبلوماسى يدعو لقضية الاستقلال ، فلما أعلنت الثورة تركزت فى شخصيته الزعامة السياسية ، وكان لخطبه وكتابته فعل السحر فى نفوس الجماهير ، ثم كان هو الذى قاد جيوش الثورة بعبقريته القائد العسكرى الملهم ، حتى إذا استقر الأمر وأصبح الاستقلال حقيقة واقعة كان هو مشرع الثورة وواضع دستورها ، ولم يلبث أن أصبح أول حاكم سياسى لها .



كان من العسير أن يتصور أحد كيف يستطيع شخص واحد القيام بكل هذه الأعباء ، ولكن بوليفار كان أمة وحده ، فقد كانت مواهبه الطبيعية وكفاءاته متنوعة بشكل مذهل . فالعبقريّة فى أكثر الأحيان وحدة غاية فى البساطة وهى

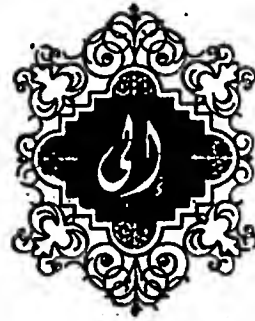
أحيانا أخرى اتساق رائع منغم بين عناصر مختلفة كثيرة التعقيد والتشابك .



أكثر ما نجد هذه الطاقة الغامضة التي نسميها العبقريّة تركّزت وانحصرت في موهبة واحدة من مواهب الروح أو مجال بعينه من مجالات النشاط البشري مثل الملاحظة أو الخيال أو التفكير العلمي المرتب أو السلوك الخائى أو الإرادة العسكرية الصلبة ، وحينئذ نرى العبقريّة ذات النطاق المحدود لا تكاد تخرج عنه والتي تتكرر لمحاتها على نحو منظم رتيب . فإذا كان صاحب هذه الموهبة ممن خالقوا للحرب فإننا نراه رجلا لا يعرف غيرها ، حتى أنه اذا قضى كل حياته فيها لم يكل ولم يتعب ، كما يمكن أن نرى في شخصية ملك السويد كارل الثانى عشر مثلاً (١٧) ، واذا كان قد ولد للفن فإننا نجده يعيش للفن والجمال لا يكاد ينظر الى شىء آخر في الحياة الا نظرة من لا يعنيه أمره ، ومن أمثلة ذلك الكاتب الفرنسى «فلوير» (١٨) ، واذا كان مصيره التفكير الفلسفى فإننا نجده مثل «كانت» (١٩) ليس له حياة إلا في مجتمع الأفكار المجردة .

وهناك موهبة القيادة التي تتضح وتنبؤ على حساب

المواهب الأخرى . فإذا بها تصبح أشبه بنسر هائل يعلو طيرانه ويرتفع مشرفاً على فضاء النفس البشرية متحكماً فيها متسلطاً على كل ما يكمن فيها . ولكن ما أكثر ما نرى هذه الموهبة بدلاً من أن تقتل غيرها من المواهب وتنفرد بنفسها . قد شحذت هذه المواهب نفسها وأشعلت ما بينها جذوة التنافس . فإذا بها جميعاً تعمل في اتساق ونظام في خدمة الموهبة الكبرى : موهبة القيادة . وهكذا تصبح كما لو كانت أسراباً من النور الصغرى تحيط بالنسر الأكبر في طيرانه المهيّب وتحف به من كل جانب .



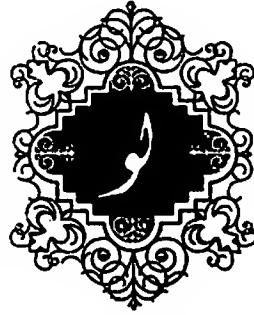
هذا التصوير الذي شبهنا به موهبة القيادة تنتمي العبقریات المتنوعة المتشعبة المجتمعة في نفس إنسانية واحدة . منها عبقرية سيمون بوليفار . فكل ما كانت تمليه روحه العظيمة من أعمال . وكل مظاهر التفوق التي كانت تلوح على تصرفاته ماجل منها ومادق ، كل ما كان يصدر عنه لم يكن من قبيل الصدفة أو الاتفاق ، وإنما كان له هدف مقصود . وجزءاً من رسالة عليا . حيلة سيمون بوليفار كلها كانت رهينة بهذا الهدف . وبذلك الرسالة . وهما شيء يمكن أن تعبر عنه كلمة واحدة : تحرير أمريكا اللاتينية . ومن أجل تحقيق

هذا الهدف اجتمعت وتضامنت كل مواهب بوليفار واتسقت في وحدة مترابطة . لقد كانت وسيلة بوليفار للوصول إلى إنجاز رسالته الكبرى هي استخدام العمل العسكري . وهنا تجلت عبقرية بوليفار الأولى . ولكن عبقرياته المتعددة الأخرى أتت لتكون روافد تغذيها وتنظم في خدمتها : الإلهام الذي كان يكمن تحت فكره السياسي الثاقب . وقوة الإقناع التي كانت تتميز بها قدرته الخطابية . وإشراق أسلوبه الأدبي .



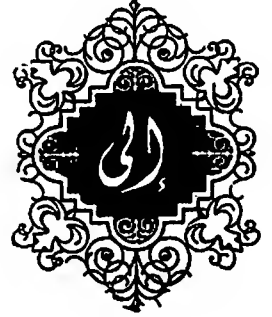
الفكر السياسي فلنا أن نؤكد أنه لم يكن لدى أي سياسي من معاصري بوليفار خلال ما يمكن أن نسميه «ثورة أمريكا» من كان لديه من نفاذ البصيرة وأصالة التفكير السياسي وقدرته الخلاقة . هذا وإن كنا نسلم بأنه ربما كان من بين بعض معاصريه من كانوا يفوقونه في فن الحكم بما يتفق مع واقع ظروف الحياة في ذلك الوقت ، فقد كان بوليفار يفضل إلهامه وإحساسه الباطن أكثر إدراكاً للمستقبل منه للحاضر القريب ، ويمكن أن نرى ذلك في وضوح إذا عدنا لمطالبة ذلك الخطاب العجيب الذي وجهه من جامايكا في سنة ١٨١٥ حينما كان مصير تلك الثورة الأمريكية التي بدأها هو غامضاً تكتنفه الظلمات والشكوك . في هذه الرسالة الحافلة بومضات

من النبوءة الصادقة نجد بوليفار يتنبأ بمصير كل واحد من شعوب أمريكا الناطقة بالإسبانية بعد أن تظفر بحريتها واستقلالها . فهو يعرف ما سستمتع به شيلي مثلاً من الحياة المستقرة الهادئة المنتظمة . وهو يقدر كذلك ماسوف تتعرض له الأرجنتين من وقوع تحت وطأة نظام دكتاتورى غاشم هو الذى رأيناه بعد ذلك فى ظل حكومة «روساس» (٢٠)



أنا تأملنا مشروع التنظيم السياسى الذى تقام به بوليفار لمؤتمر أنجوستورا سنة ١٨١٩ ضارين صفحاً عما فيه من مثالية لاتلترم بواقع أحوال القارة الأمريكية فى ذلك الوقت ، فإننا نرى فيه نقداً جريئاً ينفذ إلى الصميم لكل النظم السياسية التى حكمتها التجارب حتى الوقت الذى قدم فيه هذا المشروع . وفضلاً على ذلك فإنه لم يكتب بهذا الجانب النقدى الذى يمكن أن يعتبر سلبياً إلى حد ما ولكن فيه عناصر كثيرة إيجابية بناءة . فما يتعلق بالمفاهيم الدستورية مع مراعاة الظروف الخاصة لبناء الأمة الأمريكية ويثبتها التى كان ذلك المشروع موجهاً إليها . وقد دخلت هذه العناصر فيما بعد وطبقت بشكل عملى فى أول دستور لجمهورية بوليفيا - التى قدر لها أن تحمل اسم بطل التحرير - ثم فى دستور يرو . والواقع أن هذا الدستور

يعكس صورة لتفكير بوليفار العبقري ، وفيه يلتئم طموح الزعيم المصلح بأصالة المفكر المشرع ونزعه إلى التجديد . ومن أهم ما يلفت النظر فيه من الناحية الدستورية فكرة « السلطة الانتخابية » التي تقوم على أن ينتخب جمهور الناخبين من بينهم عدد تصل نسبته إلى العشرة في المائة . ويكون هذه القلة المختارة من مجموع الناخبين سلطة انتخاب موظفي أجهزة الدولة . وهكذا تصبح السلطة التنفيذية خاضعة لسلطة الشعب على نحو مباشر .



جانب هذا فعلينا أن ننوه بتلك الفكرة العبقرية التي كان بوليفار هو متبنيها ومحركها الأول ، وهي التي كان ينتهي إليها تفكيره السياسي كله ، ونعني بها ما كان يطمح إليه من توحيد الشعوب الأمريكية الناطقة بالإسبانية جميعاً في إطار دولة اتحادية تمتد من خليج المكسيك إلى مضيق ماجلان .

على أن أكبر فضل تكلل به مجد بوليفار بغير شك وتمثلت فيه بطولته الفائقة انما هو تمكنه من تحقيق استقلال أمريكا اللاتينية وتحريرها . وهي رسالة إذا كان بوليفار قد نجح في أدائها فلانما كان ذلك بفضل إحساسه العميق الجياش بأخوة

الشعوب الناطقة بالإسبانية وإيمانه الوطيد الثابت بإمكان تحقيق أمله الكبير في تحويل هذه الوحدة المثالية إلى وحدة سياسية حقيقية . ولم تكن فكرة الوحدة هذه منفصلة عن فكرة الاستقلال ، بل كانتا مرحلتين متعاقبتين من تفكير واحد ، فبوليفار لم يحلم أبداً باستقلال منحصر في حدود فنزويلا وحدها ولا حتى في حدود الشعوب الثلاثة التي كان يتألف منها ما عرف باسم « كولومبيا الكبرى » (أى فنزويلا ، وكولومبيا ، وبوليفيا الآن) ، وإنما كان يرى أن الثورة الأمريكية التي أوقد هو جنوبها ينبغي أن تكون أراضى القارة كلها مسرحاً لها دون تجزئة ولا تفريق . كان بوليفار يؤمن بأن الأخوة التي سادت شعوب أمريكا الإسبانية أثناء حرب التحرير لا يمكن أن تنتهى إلى الانعزال الذى قد تحكم به الحدود الدولية المتعارف عليها .



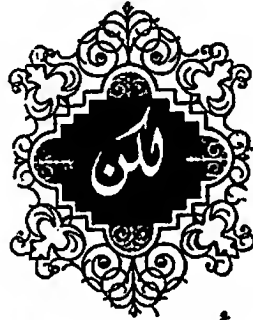
أمريكا المستقلة تعنى بالنسبة لبوليفار منذ اللحظة الأولى لا مجموعة من الدول المختلفة وإنما اتحاداً بين عدد من الشعوب ينتمون إلى أمة واحدة ... اتحاداً لا يكتفى فيه بمجرد الصلات الودية أو التحالف الرهين بتحقيق فكرة التحرير والاستقلال ، بل اندماجاً حقيقياً إيجابياً محدد المعالم يتطلب

تنظيماً سياسياً نابعاً من وعى سياسى مدرك لمقومات الوحدة التى تسمو على الأوضاع الخاصة لكل من هذه المناطق التى كانت تتألف منها الولايات الأمريكية الخاضعة للتاج الإيبانى قبل الاستقلال .



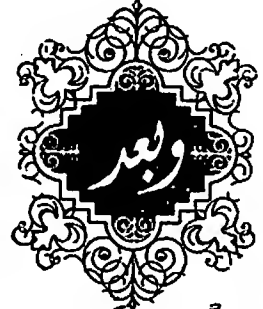
كافح بوليفار فى سبيل تحقيق هذه الوحدة ، وتبلورت فكرته حولها فى مؤتمر بنما ، والحقيقة هى أن اختيار بوليفار لبنما لكى ينعقد فيها ذلك المؤتمر اختيار له مغزاه ، ففى بنما يوشك نصفا القارة الأمريكية على اللقاء والعناق ، ويتقارب المحيطان اللذان يحفان بالقارة : الأطلسى والهادى . ومن هنا رأى بوليفار فى هذا الموقع الجغرافى أصلح مكان لعقد المؤتمر الاتحادى الذى كان عليه أن يمهد لتأليف تلك الدولة الواحدة : أمل بوليفار الأكبر . ولعل الزعيم العبقري كان يحس بأن مضيق بنما ربما كان ممثلاً فى أمريكا لما كان يمثل مضيق كورينثو بالنسبة لأرخييل اليونان ، ففى هذا المضيق ولدت وحدة بلاد الإغريق فى العصور القديمة تحت راية أثينا . ولم يكد بوليفار يستولى على مقاليد الحكم الذى اضطلع به باسم أمريكا بعد دخوله كاراكاس فى أعقاب حملة سنة ١٨١٣ - حتى رأينا فكرة وحدة القارة الأمريكية الناطقة بالإسبانية ماثلة دائماً فى تفكيره السياسى وفى مشروعاته المستقبلية ، بل كانت هى

المهدف الأسمى لكل ما قام به من أعمال منذ تلك اللحظة
التي رأيناه فيها بعد انتصاره الكبير محوراً لهذا العالم الأمريكي
والمتحكم الأعلى في أقداره .



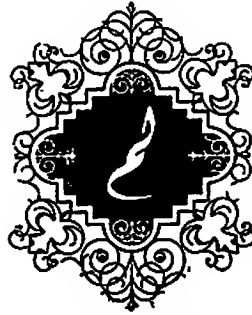
حلم بوليفار لم يلبث أن اضطدم بالحقائق
المريرة : فإن طريق الوحدة كان مفروشاً
بألف عقبة ، وعوامل الفرقة كانت أشد
وأقوى من عوامل الائتلاف في تلك الامبراطورية الإسبانية
التي كانت قد تمزقت أهـ صالها بحكم الاستقلال . ولسنا هنا
في معرض تعديد تلك العقبات ، فهي أكثر من أن تحصى .
وهي تتراوح بين المسافات الجغرافية الهائلة ، والتضاريس
الطبيعية المتباينة وبين عوامل التنافس والتحاسد التي دبت
بين شعوب القارة الجديدة ناشرة بينها كثيراً من التخوف
وسوء الظن ، وهي عوامل لم تكن ترجع إلى تعارض
المصالح بين تلك الشعوب بقدر ما كانت ترجع إلى مطامع
الزعماء والقادة وحرص كل منهم على سلطته الشخصية .
وهكذا عادت فكرة بوليفار عن الوحدة الأمريكية شيئاً أشبه
بالأحلام المثالية والمشروعات السابقة لأوانها ، وها نحن
أولاء الآن بعد أن مر قرن كامل على بوليفار نرى تلك الوحدة
ما زالت مشروعاً لم يأخذ بعد سبيله إلى التحقيق . بل حتى تلك

الوحدة الجزئية بين هلاذ « كولومبيا الكبرى » التي حققها بوليفار لم تلبث أن تمزقت ولم تتح لها أسباب البقاء ؟ ...



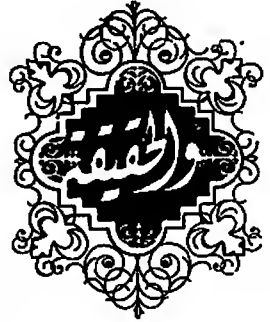
فما قيمة هذا عند النظر إلى شخصية بوليفار وتقومها ؟ إن ذلك القشل الذي لم يكن لبوليفار حيلة فيه لا يغير من جوهر الأمور شيئاً . فتفكيره العبقري وغيرته على خير القارة الأمريكية هما لا ينال منهما شيء ، بل إن الأجيال المستقبلية سوف تكون أكثر إجلالا لتفكير بوليفار العبقري من الأجيال الحاضرة .. صحيح أنه من الناحية الشكلية لا تبدو لنا مشاريع بوليفار الآن إلا ذكرى تاريخية مضي بها الزمن ، ولكن الفضل الدائم والمجا الخالد للفكرة نفسها يكمنان تحت هذه القشرة الظاهرية المؤقتة . وحمّا تصل أمريكا إلى الوحدة ستعرف كيف تعود إلى تقدير أول مبشر بها حق قدره . ونضرب على ذلك مثلاً بأولئك الزعماء الذين بشروا بالوحدة الإيطالية : مازيني (٢١) ودازيليو (٢٢) وجوبرتي ، فنحن حين نشيد بعمل هؤلاء الأبطال وكفاحهم في سبيل ذلك المبدأ لا يهمنا كثيراً أن نقف عند الأشكال التي اقرحوها للوحدة وإنما يكفيننا أن نتأمل حماسهم وإخلاصهم لجوهر قضيتهم وفي سبيل بلوغ هدفهم الأسمى .

ومع ذلك فإن الوحدة بين بلاد أمريكا الناطقة بالإسبانية سوف تتحقق مهما تطاول الزمن وبصورة أو بأخرى وحينما يأتى هذا اليوم فإننا سنرى كيف تبعث من جديد تلك الفكرة التى كان بوليفار أول مناد بها ، وسنرى انتصار بوليفار النهائى . وسيكون اسمه هو أجدر اسم بأن يرتبط به تحقيق تلك الرسالة التى كرس لها حياته .



يكن نظام «الرياسة مدى الحياة» الذى كان ينادى به بوليفار قادراً على حل مشكلات أمريكا الموشكة على نيل استقلالها، وأهمها مشكلة الاتحاد بين مختلف شعوبها ومشكلة تنظيمها الداخلى. فقد كان النظام الذى اقترحه بوليفار شيئاً شديداً بالجمهورية ولكنه لم يكن جمهورياً خالصاً . وعلينا أن نشير هنا إلى أن «بوليفار» لم يقبل النظام الجمهورى على علاته ولا فى كل تفاصيله إذ كان يعترض على أحد مبادئه الجوهرية . وهو المبدأ القاضى بتجديد منصب رئيس الجمهورية على نحو منتظم . ومع ذلك فإن من أعظم ما يذكر بالفضل لبوليفار هو الدفاع عن روح النظام الجمهورى إزاء نظام الملكية المتوارثة. وهو نظام كان هناك كثير من كبار رجال الرأى والفكر

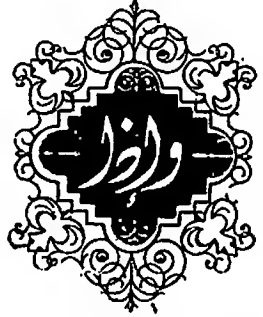
مؤيدين له ، بل إنه كان المثل الأعلى السائد في جنوب القارة ، وبه نادى جيش التحرير المنتصر فى بوينوس آيرس تحت قيادة البطل سان مرتين .



هى أن الفكرة الجمهورية الكاملة بكل ما فيها من نقاء وتجرد لم يكن لها فى أمريكا الثورية منذ أن رفعت راية الثورة فى القارة الانصير واحد أخلص لها كل الإخلاص ودافع عنها بجد السلاح . هذا النصير الوحيد هو أرتيجاس . ولكن هذه الحقيقة ما زالت الى حد ما مجهولة فى العالم الأمريكى باستثناء أورجواى الذى لا يزال حتى الآن شديد الحرص على التقليد الجمهورى معترأ بمبادئ الجمهورية أعظم الاعتزاز . والسبب فى ذلك هو أن كثيرا من بواطن تاريخ تلك الثورة التى اشتعلت على ضفاف نهر البلاتا لم تتكشف بعد ، اذ لم يعتن المؤرخون والباحثون بتعمقها ، ترويج الحقائق حولها . وقد تنبهت أنا الى ذلك منذ زمن قليل وأنا أقرأ بحثا يمتاز بنفاذ النظرة ودقة المنهج كانت قد تضمنته مجموعة محاضرات ألقاها فى مدريد مؤخرأ الأستاذ روفينو بلانكو فومبونا (٢٣) حول أصول أمريكا المعاصرة . فعلى الرغم من دقة هذا البحث وقيمة الآراء الواردة فيه فإن صاحبه يؤكد أن ثورة الطرف

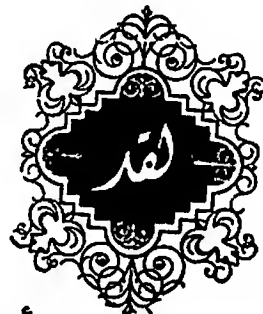
الجنوبي للقارة الأمريكية ولدت وترعرعت في أحضان
 الفكرة الملكية . ولا يخلو هذا الرأي من الصحة فيما يتعلق
 بسائر أنحاء جنوب القارة الا إذا أدخلنا في حسابنا موقف
 أرتيجاس وآراءه . صحيح أن ثورة الجنوب الأمريكي
 كانت على الإجمال ثورة ملكية الروح . ولكن علينا أن
 نستثنى من ذلك تلك الحركة التي اضطلع بها أرتيجاس والتي
 كانت تقوم على المبادئ الديمقراطية الحققة وتدعو الى التحرير
 الاجتماعى للجماهير الفلاحين الواقعة تحت نير أشد ضروب
 الاضطهاد والتنكيل من جانب الأقليات الرجعية الملكية ،
 كأنها وحش طريد . غير أن أرتيجاس لم يجد من الكتاب
 الأمريكيين بعد ذلك من ينصفه أو يقدره حق قدره . فقد كان
 كثير من أولئك الكتاب الذين تعرضوا لبحث أصول الثورة
 الأمريكية ممن ورثوا عن تلك الأقليات الرجعية الملكية
 بغضها الشديد له ولسالته الجمهورية الديمقراطية . ولهذا
 فإنه يتعين على مؤرخي اليوم أن يعاودوا النظر فى أحكامهم
 السابقة ، وأن يعودوا الى تقويم هذا الكفاح الذى اضطلع به
 أبطال الثورة التحريرية . وحينما يتم ذلك فإننا سنرى كيف
 ستعود بعض الشخصيات المتوسطة العادية الى أن توضع
 فى مكانها الصحيح بعد أن تنحسر عنها تلك الهالات الزائفة
 التى أحيطت بها ، وكيف ستتخذ مكانها فى الطليعة شخصيات
 أخرى جار عليها الكتاب والمؤرخون ، مثل شخصية أرتيجاس ،

ذلك البطل الذى كان أول مناد حقيقى خالص بالنظام الجمهورى ، وكانت فكرته هذه هى التى حمل بوليفار لواءها بعد ذلك ، وإن كانت قد فقدت بعض مقوماتها الأصيلة الجوهرية ، فى مواجهة البرنامج الملكى الذى كان ينادى به سان مارتين .



تحدثنا عن شخصية بوليفار باعتباره رجل سياسة فإنه لا مفر من أن نتحدث عن مسألة طموحه الشخصى . والحقيقة هي أن ذلك الطموح مظهر رئيسى لا يمكن أن نفصله عن جماع شخصيته . وأنا أعتقد أن من قصر النظر أن يصور بوليفار على أنه رجل تجرد من الطموح أو من الشهوة الى القيادة والزعامة ، كما لو كانت تلك الشهوة أمراً يشين شخصية البطل أو يترتب عليه الإساءة اليه . ويهمنى أن ننبه فى هذا المقام الى أن ذلك النوع من « الكمال السلبى » من الناحية الخلقية لا يمكن أن نتخذه معياراً تقاس بها بعض العبقريات ذات الإرادة الخلاقة ، تماماً كما أن ذلك النوع من الكمال من الناحية الجبالية لا يمكن أن يعتد به ازاء بعض أعمال الإبداع الفنى الخالدة مثل « الكوميديا الإلهية » لدانتى أو تماثيل النحات العبقرى ميكيل أنجلو .

فالتبيعة لاتصّب في قوالها شخصيات مثل تلك التي يمكن أن تتصورها بعض العقول، تصوراً تجريدياً ، بأن تحذف منها بعض الجوانب أو تضيف أخرى . حتى تحصل بعد ذلك على طرز خالصة توافق المبادئ الأخلاقية التي يدين بها هذا المفكر أو ذاك لا، الأمر أبعد ما يكون عن ذلك . بل أن الشخصيات البشرية إنما هي جماع متفاعل من عناصر مختلفة متفرقة من الخير والشر أو بتعبير أصح مما يبدو بعد ذلك خيراً أو شراً في نظر المعايير النسبية المتقلبة التي اصطاحت على وضعها الجماعات . وليس من اليسير إخضاع هذه العناصر لما يشبه التحليل الكيميائي العلمي بحيث نضع الخير أو ما نحسب أنه الخير في جانب ، والشر أو ما يترأى لنا شراً في جانب آخر . ولو أننا حاولنا ذلك لمزقنا شخصية الإنسان وأصبحنا أكثر جهلاً بها من حيث أردنا أن نستبطن أغوارها وأعماقها .



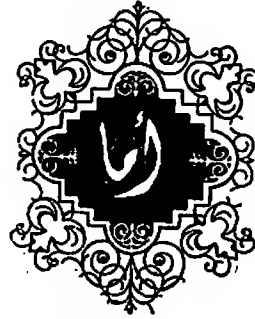
كان بوليفارا بطالا بغير شك ، ولكن بطولته من النوع الذي لا يمكن أن نفصل عنه عنصر الطموح . وليس معنى ذلك أننا ننال من بطولته أو نقلل من شأنها ، بل اننا نضعها في إطارها الإنساني الصحيح ، واذا زعم أحد أن البطولة أو العبقريّة

لا يمكن أن توجد الا مع التجرد الخالص المطلق من كل مطمح أو رغبة. فإننا نرى تقريره هذا أشبه بمن يعتبر من الممكن أن يجتمع في مخلوق واحد رأس كرأس النسر وجسد كجسد الأسد، كما تزعم الأساطير الميثولوجية أن مثل هذه المخلوقات قد وجدت في زمان غابر، وهو أمر لا سبيل الى تصديقه وإنما نعده اليوم من أحاديث الخرافات.



بوليفار من ذلك النوع المرتبط بإيمان ثابت عميق بالرسالة التي كان يشعر بأنها منوطة به، وهي عبقرية كانت تقتضى نوعاً خالصاً من التجرد ونكران الذات... نوعاً ليس مجرد اختصار الانانية والزهد في اللذات الحسية، وهذا في الحقيقة أبسط أنواع التجرد وأسهلها بالنسبة للنفوس العظيمة، وإنما هو الحرص مع ذلك على اتمام الرسالة والمضي في الشرط الى نهايته. ولنتصور الآن سيمون بوليفار بعد ذلك اللقاء التاريخي الذي تم بينه وبين سان مارتين في جوايا كيل (٢٤) وهو يترك الميدان لزميله ومنافسه في الكفاح من أجل الحرية والاستقلال، أو لنتصوره بعد أن أكمل عمله العسكري وهو يعتزل السياسة ويدع مصير أمريكا الجديد لمن يريد تصريف مقاليدته... ان مثل هذا الاعتزال لو حدث

لكان تناقضاً لا يتفق مع شخصية بوليفار ومقومات نفسيته
 مهما قيل فيه من أنه « زهد » و « تجرد » . لو أن ذلك وقع
 لكان لغزاً من ألغاز الطبيعة البشرية يستعصى على الحل
 والاستكناه .



بالنسبة لسان مارتين فإننا لا نستغرب منه
 مثل هذا الاعتزال والعزوف عن البقاء
 في الميدان . إذ أن ذلك يتفق تماماً مع
 المقومات الخلقية لطبيعة هذا النوع من الأبطال ممن يشعرون
 في أعماق نفوسهم شعوراً واعياً بأن لهم رسالة محدودة ينبغي
 ألا يتجاوزوها . فإذا حققوها وأتموها على الوجه الأكمل
 تركوا الميدان لغيرهم وكان اعتزالهم الحكم أمراً تلقائياً
 لا غرابة فيه .

وهكذا كان ... وقرر لقاء جواياكيل (سنة ١٨٢٢)
 مصير هذين البطلين رجلى الاستقلال الأمريكي : أما بوليفار
 فقد تزايد توهج مجده وارتفع نجمه . وأما سان مارتين فقد
 ترك الميدان بإرادته واختياره مؤثراً حياة الزهد واعتزال
 الكفاح بعد أن شعر بأن دوره قد انتهى الى ذلك الحد ، دون
 أن يعنى ذلك انتقاصاً من عظمتة وعبقريته . لقد كان سان

مارتين نبيل كبير النفس في اعتزاله وتجرده من كل سمات
الأنانية والأثرة . ولكن لهذا الاعتزال تفسير آخر ربما كان
يرجع الى شيء خفي عميق مستقر في وعيه الباطن . وهذا
الشيء هو الذي جعله يحس في لقائه ببوليفار بأن الميدان
لم يعد ميانه وأن بوليفار هو الأجدر بحمل الراية حتى
الهاية . هذا الشيء الخفي هو الذي تنبه اليه الفيلسوف الإسباني
« جراثيان » (٢٥) في فقرة له كتبها في الفصل الرابع عشر
من فصول كتابه « البطل » حيث يقول :

« كل وحوش الغابة تعترف للأسد بتفوقه وغلبته دون
أن تتمرس به أو تجرب حظها معه ، وإنما هو إحساس
غريزي أكمته في نفوسها الطبيعة ، وهذا هو الشأن مع
ذلك النوع من الأبطال الذين خلقهم الله سادة بطيعة ،
فلا يكاد الناس يطالعونهم حتى تملأ الهيبة نفوسهم ويشعروا
نحوهم باحترام تلقائي دون أن يحتاج الأمر إلى أن يضعوهم
على محك التجربة » .

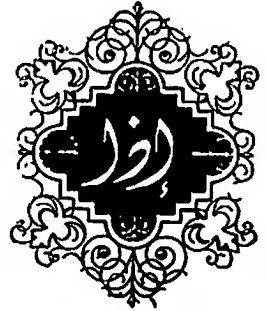


تركنا ميدان النشاط العسكري إلى ميدان
السياسة والحكم فربما بدا لنا طموح
مسيون بوليفار أمراً يترك مجالاً للنقد
أو المناقشة ، ومع ذلك فإنه قبل أن نتعرض للكلام عن

هذا الطموح ينبغي علينا أن نسمو بأنفسنا إلى مستوى عال
يسمح بأن نتمكن من تتبع سلوك البطل ، وحينئذ سنرى
أن طموحه فوق مستوى الانانيات المبتذلة ، وإنما هو نابع
كذلك من إحساسه العميق بأن العناية الإلهية أو القدر وكلا
إليه رسالة تاريخية كان عليه أن يؤديها حتى يصل بها إلى
الهدف الكبير ، وهذا الإحساس أو الإلهام هو الذى كان
يغذى فى نفسه ما يمكن أن يبدو لمتأمل شخصيته لأول وهلة
من قبيل الطموح الشخصى والتعبد بالنفس . ومع ذلك فإن
كلامنا هذا لا يعنى القول بأنه ينبغي أن يكون معنى من تبعه
كل ما صدر عنه من تصرفات إزاء حكم معاصريه أو إزاء
حكم التاريخ عليه فى مستقبل الزمان . وكل ما أردنا التنبيه عليه
هو أن نضع ذلك « الطموح الشخصى » الذى لا ننكره
على سيمون بوليفار فى إطاره الصحيح ، وباعتباره جزء
لا يتجزأ من وحدة شخصيته المتكاملة ، شخصية البطل
العبرى ، فإنه من الظلم أن نفصل هذا الطموح عن بقية
مقومات شخصيته لكي نقدمه باعتباره وجهاً من وجوه النقص
أو الرذيلة ، وإذا صح أن ذلك الطموح يمكن أن يعتبر ضرباً
من ضروب الانانيات فى شخصيات أخرى فإنه بالنسبة
لبوليفار عنصر من العناصر التى تكتمل بها بطولته وعبقريته .

أما موقف الجماهير من البطل فإنه كثيرأما يتميز بالعداء ،
فهى فى بعض الأحيان تستجمع قواها وتتحفز للانقضاض
عليه تحدوها فى ذلك غريزة لا تقبل فى ثقها فى نفسها عن

ثقة البطل العبقري نفسه ، وتعمل بالفعل في قطع الطريق عليه . كذلك كثيراً ما يثير البطل خصومة طوائف مختلفة من الرجال منهم من يعتبرون في عداد المفكرين ، ومنهم نفر من أصحاب الإرادة القوية ، وقد يكون هؤلاء إذ يعترضون طريق البطل ويناثون بالعداوة محقين ، وقد يكونون مخطئين ، وما أكثر ما يكون لهم في عداوتهم له عذر وجيه ، ولكن المؤرخ التزيه المتأمل في سلوك الرجال وأفعالهم ثم في ردود الأفعال الصادرة عنهم مما تتألف منه خيوط المسرحية البشرية التي تؤذيها جميعاً في الحياة ؛ أن يلبث أن يرى في إرادة البطل بكل ما يحيط بها من تأييد المؤيدين ومعارضة المعارضين تلك العوامل التي تصنع الاتساق والتناسق في التاريخ الإنساني ، وسيرى المؤرخ العادل أنه لن يخطيء أبداً في الخلط بين قوة إرادة البطل البناء الخلاقة والطموح القلق المسعور الذي يتسم به سلوك الأبطال الزائفين ، ممن يسرون وراء مظاهر بطولتهم الجعجعة الكاذبة أنانيات شخصية ومآرب رخيصة ، وكأنهم ثعالب تنكرت في جلود السباع ؟



كانت مقدرة بوليفار وبراعته في ميدان السياسة من أهم الصفات التي تضاف الى سجل أمجادة فإن موهبته بصفته أديباً لا تقل

عن مؤاهبه السياسية . والحقيقة هي أن اسم بوليفار في هذا الميدان من ميادين أمجاده قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بخطبه السياسية المتأججة ونبرات بلاغته القوية الفخمة ، وتلك النبرات التي نعتقد أن الأرض الأمريكية كلها لم تعرف مثيلاً لها على طول تاريخها في قوة العارضة والقدرة على الإثارة . ومع ذلك فإننا - وإن كنا لانكنم إعجابنا بخطابة بوليفار الرائعة - نضم صوتنا إلى أصوات الكثيرين الذين يفضلون على بوليفار الخطيب بوليفار الكاتب ولا سيما في رسائله التي يجرى في كتابها على سجيته في انطلاق وتلقائية . وذلك أن خطب بوليفار مثل سائر نتاج فن الخطابة في كل زمان ومكان يقوم على وسائل تعبيرية وألوان من التأكيد والتكرار تتلاءم مع المقام والمناسبة بغير شك ، ولكنها تهدف إلى بلوغ التأثير المطلوب في نفوس السامعين ، وهو تأثير في نظرنا مؤقت عابر رهين بالمحظته ، إذ أن هدف بوليفار من تلك الخطب الحماسية الملتبهة لم يكن يعلمو إثارة مشاعر الجماهير وهزها هزاً عنيفاً ، فإذا مضى الزمن بتلك الخطب لم تلبث أن تذيل ويذهب شذاها ويشحب لونها ، بعكس الكلمة المكتوبة التي يقدر لها حظ أكبر من الخلود

ومن ناحية أخرى فإن هذه الخطب لا تخلو - وما كان لها أن تخلو - من تلك الخيوط الباهتة الهشة التي اعتدنا أن

نرى الخطب السياسية منسوجة منها . ونعنى بها النماذج المحفوظة المتواترة من التباير والمفردات . ولغة الخطابة السياسية في نظرنا هي أقل ألوان النثر حظاً من الجبال الأدبي بوجه عام . وما أكثر ما نجد فيها من الطنطنة البلاغية والبعد عن الدقة والوضوح واستخدام قوالب تعبيرية تقليدية كأنما صبت لكي نخف دائماً الى نجدة الخطيب كلما ألحت عليه مضايق منصة الخطابة . وليس معنى ذلك أننا نخلى خطب بوليفار من قيمتها . فما أكثر ما نجد فيها من ومضات العبقريه ولمحات الفحولة والأصالة . ومن صور وعبارات وكلمات ضمن لها الخلود ما احتوته من مضامين نبيلة سامية تبرز فوق تلك البلاغية التي تبدو تقليداً لخطابة الإغريق القدماء وان كانت قد تكيفت في ظل الظروف الجديدة ، فاتخذت لغتها من كتب المفكرين السياسيين المدافعين عن الحريات مثل « ارينال » (٢٦) و « مارمونتيل » (٢٧) و « مابلي » . (٢٨) وأصبحت نماذجها المفضلة هي الخطب الحماسية المتأججة التي كانت تستخدم أدوات دعاية خلال الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩ ولاسيما بين طائفتي « الجيرونديين » و « الجبيلين » (٢٩) وقد انتقل ذلك الى ثورة أمريكا اللاتينية فيما انتقل من تأثيرات أوربية الى هذه القارة في بداية عهدها بالكفاح الاستقلالي .

هذه العناصر الخطابية كانت كلها من طين هس ، صحيح أنها تحولت بين يدي بوليفار الى تجف فنية رائعة اذ نفخ

فيها من فيض عبقريته ، ولكنها كانت طيناً على كل حال ،
أما الرسائل التي كتبها فإنها بطبيعتها كانت عملاً أدبياً تلقائياً
أودعه بوليفار خلاصة روحه واحساسه على نحو ما كان ليتوفر
في الخطب السياسية العابرة ... خطب المناسبات . هذا وان لم
يعن ذلك خلوها من البلاغة والتصوير الشائق والألوان
المتوهجة ، رسائل بوليفار قطع فنية خالدة من الأدب الحي
الجميل سواء منها الرسائل الخاصة التي يكشف فيها عن طوايا
نفسه أو الرسائل السياسية التي لا تخلو من الرنة الخطابية أو
الغنائية ، ففي جميعها يقدم لنا بوليفار عصارة تفكيره وتجاربه
وحساسيته في فرحه وحزنه ، في آماله وآلامه .



ما نرى فيها كيف يعرض الفكرة عرضاً
تمثيلاً تعين فيه الصورة على تعميق الفكرة
واجلائها، ولنتأمل على سبيل المثال هذه
الفقرة التي كتبها في إحدى رسائله سنة ١٨٢٦ :

« كنا في نقطة من التوازن العارض الذي يبدو ضرباً من
ضروب المعجزات ، كأننا موجتا بحر اندفعت كل منهما إزاء
الأخرى في عنف عارم ، ثم التفتا واصطدمتا ، فأوقفتهما

الصدمة وبقينا لحظة هادتين تستند كل منهما الى الأخرى في هدوء وسكون يبدو ان حقيقين. وان كان هذا الهدوء لا يستمر الا ثانية أو جزءاً من ثانية وما أكثر ما رأى خائضو البحار مثل هذه الظاهرة .



في بعض هذه الرسائل صوراً للرجولة الحقبة التي تعرف كيف تعبر عن نفسها في أصالة واعتداد وثقة، كما نشاهد في هذه الرسالة التي كتبها يرفض فكرة تنصيبه ملكاً على ما اقترحه عليه أحد كبار قواده « الجنرال بايث » :

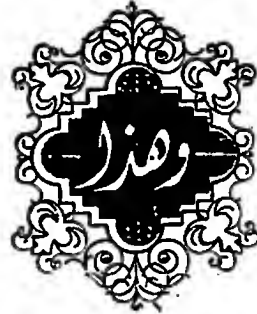
« لست نابوليون ، ولا أود أن أكونه ، ولست أريد أن أقلد يوليوس قيصر . وأولى بي ألا أسعى الى تقليد «أيتوريدي» (٣٠) ولست أكتسك أنى أعتبر هذه الأمثلة أقل مما يستحقه اسمى من مجد. لقد منحني الشعب لقب «بطل التحرير» ، وهو لقب أسمى وأعز من كل ما يمكن أن يبلغه ظموح انسان . وليس في نيتي أبداً أن ألطخ هذا الشرف أو أحط من قيمته .

ولبوليفار عبارات تأخذ بمجامع النفس بحكم نفاذ نظرتها مع الإيجاز المحكم :

« الذى يريد أن يلتزم الحق فى الحكم على الثورات وعلى الرجال المضطلعين بها فإن عليه أن يراقبها من قريب . ثم يحكم عليها من بعيد » .

– « اذا لم يتوفر الاستقرار لآى مبدأ سياسى فإنه لابد أن ينتهى الى الفساد ولا يلبث أن ينهار من أساسه » .

– « الذى تأصلت فيه روح العبودية لا يمكن أن يقدر الحرية الصحيحة حتى قدرها . فهو يملكه الهياج والرغبة فى التخريب اذا وقعت الفتنة ، فإذا فرض عليه الذل فى ظل الإرهاب فإنه يخضع ويستكين » .



هو ما يحملنا على أن نشعر بأسف لا ينتهى
 إذ نرى أنه لم يبق لنا من رسائل شيمون
 بوليفار الا جزء ضئيل ، فهى كثر ثمين
 يحز فى نفوسنا أنه لم يصل إلينا كاملا . غير أن ما بقى من
 تلك الرسائل يكفى لكنى يقدم لنا شاهداً على موهبة الكاتب
 العظيم التى تكمن فى نفسه ، هذا فضلا عما تطلعنا عليه من
 مختلف جوانب شخصيته العبقريّة . ففيها تنعكس القصيدة
 الشعرية الرائعة التى تتألف منها قصة حياته . وما أجمل هذه

القصيدة التي تتحول فيها حياة رجل حافلة بالعمل والكفاح
الى شعر خالص ؟ ..



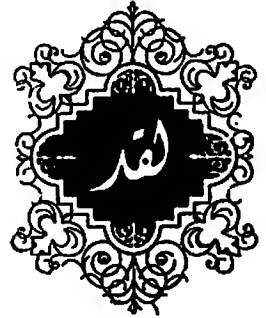
يعش أحد من البشر أبداً مثل هذه الحياة
العريضة الممتلئة، الحياة التي تسمو مثلها
على كل ما عرفته البشرية من متعة الأبيقوريين
وزهد الرواقين . حياة عرفت آلهة الخيال كيف تشع فيها
نور عينها لتضيء ظلمات تلك الغاية القائمة التي تشتمل عليها
كل نفس إنسانية . حياة هي أشبه بالمعجزات والأساطير ، في
ذلك العالم الذي بدأت فيه واقعية الحياة وحقائقها المادية تفرض
نفسها منذ فجر القرن التاسع عشر . حياة بدأت وهي في
شبابها الغض بحب تحطم وانهار وهو لم يكد يبدأ ، فقد انتزع الموت
منه زوجته الشابة بعد عام واحد من الزواج ، وحينئذ يكرس
بوليفار حياته لحب آخر تملك عليه وجدانه : هو حبه لوطنه ،
وهو يقبل على هذه الرسالة الجديدة بكل ما احتوته نفسه من
عاطفة متأججة وانفعال عارم . ويبدأ ذلك التحول النفسى
الهائل الذى يبدو كما لو كان مكاشفة من مكاشفات الأنبياء ،
فيملئ عليه هدف حياته الجديدة : خلق وطن جديد وانقاذ
عالم بأسره ! ..

وبعد ذلك تأتي خمس عشرة سنة من مغامرة هائلة
أسطورية لاتخلد نفسه فيها إلى راحة ، ثم لذة الانتصار الذي
يدركه مائة مرة . ومرارة الهزيمة التي تتكرر مائة مرة ، والتجوال
المثير الذي لا ينقطع في طبيعة هائلة تتعاقب فيها أنهار كالبحار
وجبال كالسحب وسهول تحرق لفحات الحر فيها الجلود
بشواظ من نار . وقمم مغطاة بالجليد تنفذ رياحها ببرودة
الثلج إلى داخل العروق . وأخيراً الحلم الطائر السارح يتجسد
في حقيقة ماثلة من المجد ، وجولات بوليفار في المدن التي يهب
أهلها للتهافت له واستقباله بطلا منتصراً ، وليالي «ليما» الساحرة
حيث ينحسر هواؤها الفاتر الشاحب عن انطلاقة ملحمة
عسكرية جديدة . ثم تلك الوقفة التاريخية التي يستحيل على
مؤرخ أن يصفها حق وصفها ، وبوليفار مطلع من قمة
جبل «البوتوسي» على هدوء السهول الساكنة حيث دارت
المعركة الأخيرة .

وبعد ... فهل بقي شيء ؟

نعم . بقيت مرارة الرجاء الخائب والآمال المنهارة ، وهو
يرى كيف تصب آلهة الحسد عليه انتقامها الرهيب والإنكار
الظالم لكل ما قدمت يداه من فضل ، وتنمر بعض أتباعه ورجاله
عليه ، وإن كانت كل هذه الصدمات تولد في نفوس عظماء
الرجال قوة جديدة ومزیداً من الاعتداد بالنفس . كان كل
هذا هو وتر الأصوات الناشئة التي ما كان لها أن تختفي من

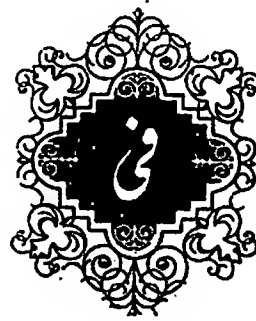
حياة رجل عظيم كانت كلها سيمفونية كاملة من الألحان
المتسقة الجميلة .



قدم لنا عصر بوليفار العجيب الحافل
بالمفارقات هذه الروح التي عاشت أيامها
في حبوات كثيرة متعددة ، والتي نفخت
في رجال تلك الأيام نفحات من البطولة الخلاقة ، وأصبحت
أشبه ما تكون بملحمة شعرية من ملاحم الإغريق القدماء .

حياة بوليفار كانت تفجيراً لمعين من الطاقة والقوة تولدت
عنه في ميدان العمل والكفاح معجزات تذكرنا بشخصية
نابوليون التي تحول بها في نظر الناس من رجل إلى شبه إله ،
ومن جندي إلى إمبراطور ، أما في ميدان الأفكار والصور
فلقد قربت بين بوليفار وبين عباقرة الفلاسفة والشعراء. ولسنا
نبالغ إذا قلنا إن التاريخ البشري لم يعرف شخصية تجمعت
فيها كل هذه المواهب والعبقريات منذ عصر النهضة الأوربية
كما عرفها في بوليفار . وما أوثق أصول بوليفار بتلك النهضة
التي كانت تعني بالنسبة لنا نحن الأمريكيين فتح بلادنا ،
واستعمارها . فبوليفار نفسه إنما ينحدر من أسرة إسبانية كانت

تعيش في منطقة بلاد «الباسك» على جبال اليرينيه.. وما أعجب
تقلب التاريخ : فقد كان بوليفار من سلالة هؤلاء الرجال
الذين عرفوا بفحولتهم وقوة عزمهم كيف يفتحون عالمًا جديدًا
ظل تحت نير حكمهم قرونًا طويلة من الخمول والنوم ،
ولكنه بعد ذلك لم يلبث أن استيقظ وتفتحت فيه تلك الطاقات
الحامدة نهمة الى المغامرة ، وكانت هذه اللحظة بفضل رجال
مثل بوليفار كانت أصولهم من ذرية أولئك الفاتحين المستعمرين
أنفسهم . لقد فتح أجداد بوليفار تلك القارة الأمريكية .. ثم
أتى هو ليحررها من ربة الخضوع لأولئك الأجداد ! ...



نهاية سنة ١٨٢٦ كان بوليفار في أوج مجده
وعظمته، فقد أصبح هو الحكم المتصرف
في مصير عالم حديث العهد بالميلاد، وكان
في طريقه الى العودة الى كولومبيا حتى يضطلع فيها بمقاليد
الحكومة المدنية التي كان الفضل في خلقها يرجع اليه .
ولكن الثمل بالمجد والنصر لم يلبث فجأة أن تحول الى ثمل
« بمرارة العلقم » التي تتحدث عنها دعوات النبي أرميا في الكتاب
المقدس . ومنذ تلك اللحظة حتى وفاة بوليفار اذا بحياته
تتحول الى سلسلة من الآلام . وما أكثر ما مر عليه من
لحظات عصبية كانت الأمور فيها تتعقد عليه حتى تبدو

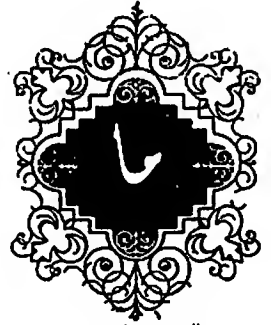
كأنها جواد جموح يريد أن يقذف براكبه عن صهوته ،
ولكنه كان يعرف كيف يسلس قيادها في النهاية فتصبح في
يديه كالعجينة الطيبة ، بل إنه كان يعرف كيف يستمد
من تلك الأزمات إرادة جديدة وعزما من صلب الحديد ،
ولكن الأمر في هذه المرة كان مختلفاً : لقد أشرفت ملحمة
بوليفار على نهايتها ، والجواد الجموح من تحته أصبح لا يتعرف
على صوت سيده . لقد كان كل من حوله وما حوله من قبل
أشبه بنبرات موسيقية تحسن يدها تصريفها وتحويلها الى تحفة
رائعة من الألحان ، ولكنها الآن أوتار ممزقة لا تند منها
الا أصوات جشاء تخشنة فإذا تألف منها لحن الاتهام ونكران
الجميل ... قدر غريب وقضاء ما كان لعباقرة الرجال منه
راد ولا دافع ؟ .



أمريكا هذه التي صنعت من عجينة من النار
والحديد انصهرت في بوتقة الفاتحين الإسبان
كانت تحت قشرة العبودية والذل الظاهرة
تنطوى على معين من الإرادة البطولية ومن فضائل الشعوب
المحاربة ذات المراس القوي والشكيمة القاهرة ، فضائل
أغانت على تأصيلها وبلورتها تلك الغيوبة الطويلة التي أخلد اليها
الشعب الأمريكي خلال قرون من التبعية تحت نير الاستعمار ،

تماماً كما تعتق الخمور في ظلام الأقباء وهدوئها ، فلما برز من أبناء الشعب الأمريكي من عهد اليه القدر بإيقاظ هذه النفوس المخلدة لنوعها الطويل كأنه ساحر أتى بتعويذة تفك السحر ، اذا بنا نرى الانتفاضة الهائلة ، والطاقات الكامنة تنفجر عارمة مبشرة بالمعجزات . ولكن ذلك كان رهيناً بوجود البطل العبقري الذي انتصب لكي يصبح محوراً لتلك الأعمال البطولية . وهكذا ارتبطت به والتفت حوله تلك الطاقات أينما سار ، صادعة بأمره ، ومطيعه إياه طاعة الأبناء للآباء . ولكن انشاء الأمم وبناءها لا يقتصر على تحريرها من نير التبعية والاستعمار ، واذا كان هذا التحرير يقتضى الكثير من أعمال البطولة والفداء فإن ذلك ليس الا المرحلة الأولى فقط ، وقد تمت هذه المرحلة بفضل بوليفار وبقى بعد ذلك اتمام رسالة أجل وأكبر . لقد عاد بوليفار والنصر يتوج كفاحه ، وكان عليه وعلى رجاله بعد ذلك أن يمثّلوا مكاسب الانتصار ويحسنوا تنظيمها ويتعهدوا بالرعاية والحكمة السياسية والوعى الهادئ تلك البذرة الغالية التي عرفوا من قبل كيف يصلون الى ايجادها بفضل البسالة العسكرية والتضحية في ميدان المعارك . غير أن هذه المهمة الكبيرة اصطدمت منذ البدء بعقبات أكبر لم يكن هناك في طبيعة الشعب الموروثة ولا في مستواه من العلم والثقافة ، ولا في عاداته وتقاليده ولا في البيئة الجغرافية الطبيعية التي يتحرك

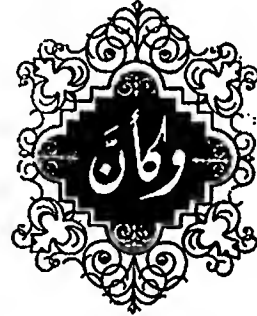
على ميدانها ، ولا في أوضاعه الاقتصادية الا العراقيل
والمعوقات ! ...



أقصى هذه الرسالة التي كان على بوليفار
إتمامها : خلق أمم حرة حيث كانت العبودية
قد استقرت في النفوس خلال قرون طويلة
حتى إنها أصبحت الخيوط التي يتألف منها نسيج تلك النفوس ،
وانشاء شعب متجانس على رقعة هائلة الاتساع تفصل ما بين
أجزائها الآهلة من الصحارى المقفرة أكثر مما تفصل البحار
المرامية بين القارات . والتبشير بالتقدم والحضارة حيث تجثم
البربرية المتوحشة والبدائية الخشنة . وتوليد طاقات جديدة
تعرف أصول الحكم في بلاد لم تعرف بعد من الثقافة والعلم
الاقشرة هشة واهية . والاهتداء الى وسيلة لنظام سياسى
مستقر يكفل العمل الهادئ بدون لجوء الى فرض حكم
استبدادى صارم ... كل ذلك كان شيئاً فوق طاقة بوليفار .

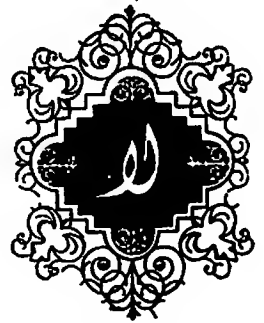
وهكذا تبرز على ميدان حقائق تلك الأزمة العنيفة :
أزمة الصراع بين الغاية النبيلة والوسيلة المتواضعة . الهدف
السامى والإمكانات المحدودة وتتجدد الأزمة في كل

خطوة يخطوها بوليفار ، وتفرض الحقائق الواقعة سيفها المصمت الرهيب الذى لم ينج من بطشه هذا الرجل نفسه ... بطل التحرير... الذى كانت الأقدار قد أعدته لكى يكون بطلا أكثر مما أعدته لكى يكون أستاذاً ومربياً للجمهوريات الجديدة . ولقد كان بوليفار حقاً رجل إلهام تقوده غريزته الى الضربة الموفقة فى الوقت الملائم أكثر مما كان رجل سياسة وحكم مبنى على التقدير الهادئ . الحذر والمثابرة الصابرة .



كل تلك العقبات والعراقيل لم تكن كافية ، إذ أضيفت اليها أخرى كانت تظهر على خط السير الطويل كلما دعت اليها مناسبة: قذارات النفوس والمطامع الانانية التى تكون مستترة خلال حروب التحرير ، فإذا انقضت الثورات ظهرت على السطح وكشفت وجهها القبيح ، والطاقات المتوحشة التى لا تلبث أن تتطلع لتسلم قياد الزعامة ، والهذيان المحموم الذى يتقدم به أصحابه كما لو كان فلسفة سياسية وأفكاراً بناءة ، والآهواء الشخصية التى تهرع مطالبة بشمن ما قدمته خلال الثورة من ضروب الشجاعة والاستبسال كما يطالب المرابون بفائدة ما دفعوه من قروض . ثم وقاحة الغوغاء

وسوء ظنهم واعتقادهم أن كل من يود إقامة حكومة منظمة
فإنما هو طامع في الحكم لشخصه أو راغب في الاستبداد
بمزايا السلطة.



يكاد بوليفار يتسلم مقاليد الحكم حتى يرى
نفسه منذ اللحظات الأولى وقد أحاط به
سوء الظن والانحراف، بل تأتي بعد ذلك
الدسائس والمؤامرات، وتضطرب في نفسه ازاء هذه العداوة
التي يقابل بها قبل الآوان وبدون مبرر انفعالات غامضة تجعله
هو الآخر يسيء الظن بنفسه، وتملى عليه هذه العبارة المليئة
بالرجولة التي نطق بها في رسالة الى مجلس الشعب طالباً
إعفاءه من السلطة، وكأنه يدلى باعتراف خطير رهيب :
« اننى لا أبرئ نفسي من مظنة الطموح والرغبة في الحكم ».

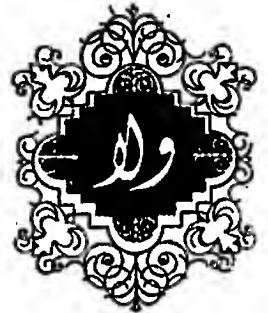
ولم يمض على ذلك سنتان حتى نجد أن الحكم الذي أقام
بوليفار دعائمه لم يعد سلطة تحتكم الى القانون أو ارادة
الشعوب، بل تحول الى دكتاتوريات مستبدة، وأن النظام
السياسي الذي قام بناؤه مرتبطاً باسمه المحووط بهالة النصر
قد تفكك في بيرو وبوليفار وانفصمت عراه. فقد اعتبرت

المطامع والأهواء الشخصية من قبيل الذل والاستكانة أن تظل خاضعة لأفكار بطل التحرير وسلطته ، وكأنها رأت أن استقلالها الذي ظفرت به بفضل بوليفار نفسه لا يتم الا بالتمرد عليه ، ولا نلبث أن نرى الحرب تشتعل بين كولومبيا وبيرو . لقد كان بوليفار يحلم بتأليف جامعة متحدة من البلاد التي حررتها عبقريته ؛ ولكنه يرى والألم يعصر نفسه أن هذه البلاد وهي لم تكتمل بناؤها بعد قد انساقت في حروب بين بعضها والبعض ، وكأنها ابنا النبي إسحاق اللذان تذكر الكتب المقدسة أن النزاع والقتال دب ما بينهما وهما بعد في بطن أمهما (٣١) .



هذه الأثناء اشتدت حدة الخلافات الأهلية في داخل كولومبيا ووصل الأمر إلى حد التآمر المسلح على بوليفار نفسه . ففي ليلة الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٢٨ قامت عصاة مسلحة من المتآمرين بمهاجمة بيت بوليفار . ووجه هؤلاء أسنة خناجرهم الغادرة إلى صدر بطل التحرير . وإذا كانت المؤامرة الفاشلة قد عجزت عن تمزيق صدر بوليفار فإن مرارة الشعور بالظلم ونكران الجميل كانت عليه أشد من كل جراحة . ومع ذلك فإن أنصاره المخلصين المتحمسين لقيادته يجتمعون

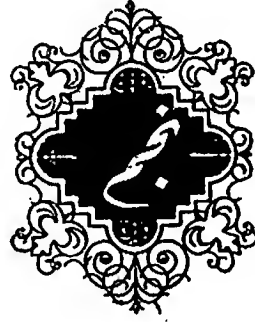
فيقرون تنصيبه ملكاً على الدولة الجديدة ، ويلحون عليه في قبول العرش ، ولكنه يرفض في إباء ، إذ أنه يعتبر العرش أقل مما يستحقه مجده وكرامته . ولعل هذا الموقف الأبى النيل الذي اتخذه بوليفار هو الذي أنقذ النظم الديمقراطية في أمريكا من البوار والانهيار الكامل . ولم يحل ذلك دون اتهام أعدائه ممن كان الحسد يأكل في قلوبهم بأنه كان يسعى إلى جمع السلطة في يده وفرض نظام دكتاتوري استبدادي على البلاد . وتندلع نار التمرد على الحكومة في بوبايان Popayan ، ويتولى قيادته هناك لوبث Lopez وأوباندو Obando (٣٢) ، ثم في أنطاكية حيث يترعمه كوردوبا Córdoba ، ولا يتمكن بوليفار من إخماد هاتين الحركتين إلا بإراقة الدماء ، وكان في ذلك ما فيه من إثارة المزيد من الأحقاد والخصومات .



تنتهى المصائب عند هذا الحد ، فالأتجاه الذي أقامه بوليفار بين البلاد التي حررها لا يلبث أن يتمزق ، وتنتهى الحرب بين كولومبيا وبيرو بعقد صلح يكون فيه ختام لتلك الوحدة ، ويقع بعد ذلك ما هو أشد هولاً من تلك الحروب الأهلية بين الأخوة ، إذ تنفصل فتزويلا نفسها عن الاتحاد الذي توجهته

قبل ذلك بعشر سنوات بمعركة « بويكاكا » . وهكذا تنهار
أحلام بوليفار ويعصر الألم نفسه . بينما تصك مسمعيه أصوات
الجهير الغاضبة في المدينة التي رأى فيها النور وهي تطالب
بإلغاء الاتحاد وتبحث أهل كولومبيا على طرد بوليفار ونفيه
من البلاد .

بوليفار في طريقه إلى الأفول، وحياته
السياسية تؤذن بنهاية لا مفر منها
ولارادها.



وفي يناير سنة ١٨٣٠ تنعقد الجمعية الوطنية من جديد
لكي تعيد النظام الدستوري للبلاد . ويعلن بوليفار اعتزاله
للحكم وللسياسة . واعتكافه بعيداً عن الأضواء في بيته
الرئيسي في ضواحي بوجوتا . ثم يتوجه بعد ذلك إلى ميناء
قرطاجنة ، وقد صبح عزمه على الابتعاد عن السياسة ابتعاداً
لا رجعة فيه . وقد فقد كل شيء . فلم تسلم له بعد كل تلك
الكوارث لا صحته ولا ماله . أما الصحة فقد كان يلتهم
جسده مرض صدرى لم يكن له منه شفاء ، وانطبع ذلك على
جسده قبلنا شيخاً مهتماً وهو لم يتجاوز الأربعين إلا بسنوات .
وأما المال فإن كل الثروة التي ورثها قد نفذت فلم يبق منها

شيء ، إذ أنه أنفقها على القضية التي وهب نفسه للدفاع عنها . وكانت روحه ممزقة معذبة ، موزعة بين ألمين : ألم مجرد لا هوى فيه ، هو ما يحس به الأب أو الأستاذ وهو يرى عقوق أبنائه أو تنكر تلاميذه له ، وألم ذاتي وهو يرى آماله هشما تذروه الرياح وكرامته تهان وتلطح . ولم يكن لبوليفار في غمار كل هذا العذاب عزاء حتى في أمل مستقبل ، ولعل هذا هو أقسى ما كان يتعرض له في أخريات أيامه ، فقد كان يقض مضجعه التشكك في قيمة كل العمل "ي كرس حياته له واليأس من مصير أمريكا . حتى بصيص الأمل في أن يكون اعتراله للحياة السياسية وإيثاره للانزواء جالباً للوثام والوفاق ... حتى هذا البصيص لم يلبث أن تبدد في الظلمات . وما أكثر ما كانت تتردد في مسامعه أصدااء بعيدة لجلبة سلاح وحركة جنود ، ولكن مثل هذه الأصوات لم تكن تؤذن - كالعهد بها من قبل حينما كان هو القائد والزعيم - بمأثرة مجد أو بميلاد ملحمة من ملاحم البطولة ، بل كانت إيذاناً بوصمة جديدة وعار يلطح جبين القائمين بها ، إذ أنها لم تكن إلا نذيراً بمؤامرة خسيصة بيتت بلبيل ، أو تمرد عسكري فوضوى . إن الجيش الذي استطاع تحت قيادة بوليفار أن يحرر عالماً كاملاً قد تمزق الآن إلى فلول متناحرة تتوزعها مصالح رخيصة دنيئة ويتوثب عليها رجال صغار النفوس ؟ ...

وتصل إلى سمع بوليفار من بلاد أمريكا اللاتينية المجاورة أخبار عن اضطرابات فوضوية مماثلة تلتطح ملحمة

التحرير الكبرى بمزيد من الدماء والوحل . وكأنما لم تكن هذه الصورة القائمة الحزينة كافية لتوجيه سهامها المسمومة إلى حطام بوليفار مألثة نفسه بالمرارة والقنوط ، فإذا به يبلغه وهو في هذه الحال نبأ اغتيال صديق عمره وزميل كفاحه الماريشال « سوكرى » (٣٣) ، ذلك القائد العظيم الذى أحرز تحت إمرته أعظم انتصار فى معركة « أياكوتشو » . وقد سقط « سوكرى » مضرجاً بدمائه فى ممر من ممرات جبال الأنديز ، تصيده قاتلوه كما يتصيدون وحشاً أو مجرمًا عادياً فى خسة ونذالة ، دون أن يشفع له مجده العسكرى وهالة الانتصار الهائل الذى توج به ملحمة تحرير أمريكا : إلى هذا الحد بلغ التهريج السياسى الرخيص والتنكر لتلك الصفحة المجيدة التى خطتها يدا بوليفار وأيدى أنصاره المخلصين والتى لم يكتب أجل منها ولا أروع فى تاريخ القارة كلها . وقد حفظ لنا التاريخ خطاباً كتبه بوليفار بهذه المناسبة وهو يشف عن مدى المرارة القاتلة التى ولدتها فى نفسه تلك الجريمة الشنعاء .



كان الموقف وهكذا كانت حالة بوليفار النفسية حينما يطرق بابه طارق من بوجوتا يبلغه أن حكومة الجنرال موسكير (٣٤) قد أطاح بها انقلاب عسكرى . وأن التمرد المنتصر يطالب

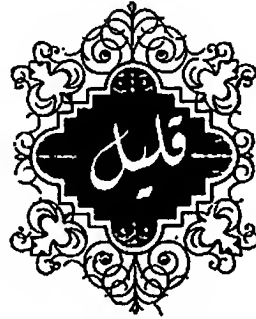
بعودة بوليفار لكي يتولى مهام الحكم ، وتثور في نفس بوليفار مشاعر عديدة ، فمواهبه الطبيعية في القيادة وإيمانه الذي ما زالت في نفسه منه بقية تدعوه إلى قبول هذا العرض ، وتولد في أعماقه قشعريرة إزاء تلك العودة إلى الحياة السياسية ، ولكنه يعرف بعد ذلك أن الذي حدث لم يكن ثورة شعبية تسعى إلى إصلاح ما فسد من الأمور ، وإنما هو تمرد عسكري من نوع ما كانت تضطرب به أرجاء القارة الأمريكية آنذاك . فلا يتردد في رفض ذلك العرض والإصرار على زهده في المناصب وإيثار الاحتفاظ بكرامته وهو مترو في الظلام على أن ينادى به قائداً وزعيماً في ظل تلك الظروف .



خريف سنة ١٨٣٠ تشتد عليه وطأة المرض ، فينتقل إلى سانتا مارتا . وهي المدينة التي انطلق منها قبل ذلك بثماني عشرة سنة محرراً

أول انتصاراته . وهناك على شاطئ البحر الذي كان هدير أمواجه واصطخاها يهدده به . مكث ينتظر ساعة النهاية . في هدوء وسكينة ... هدوء فيه من الجلال والعظمة ما كان من قبل لحركته الدائبة وجهوده التي لم تعرف الكلال قط . وفي هذه اللحظات لم يكن لديه بعد أن تطهرت نفسه وانسكبت

فيها السكينة إلا كلمات الغفران لأعدائه والصفح بمن قابلوا عمله بالعقوق والنكران ، ونسيان كل ما وجه إليه من إساءات ، والدعاء لشعبه بأن يتحد ويألف ، ويحل الحب والوفاق بين أفرادهم وجماعاته محل البغضاء والخصام .

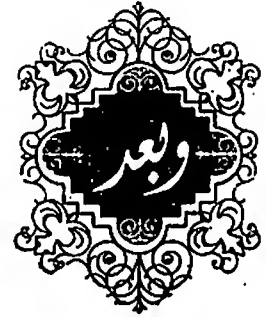


من الرجال عرفوا مثل هذه الحياة الجميلة حتى في منغصاتهما وآلامها ، وأقل من هؤلاء من عرفوا مثل هذه الميثة النبيلة في سلامها وإيمانها . وفي عصر يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٨٣٠ كان بوليفار محرر قارتنا الأمريكية يلفظ آخر أنفاسه .

وهكذا انتهت قصة بوليفار ... بوليفار الذي وهب أمريكا الإسبانية الأصول أعظم وأكفأ إرادة بطولية عرفتها القارة ، وأبلغ كلمة ثورية تردد صداها في هذه البقاع ، وأعمت نظرة نفاذة خرقت الغيب عن مصير بلاد القارة ومستقبلها . أما بالنسبة للعالم فقد كان بوليفار هو أكثر ممثلي أمريكا الإسبانية أصالة وأخلاقهم أثراً في مجمع العبقريات الإنسانية الكبرى

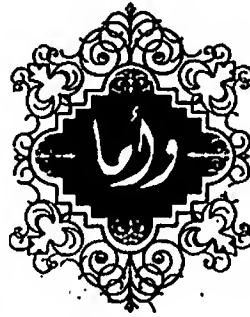
وإذا أردنا أن نلتمس قريناً لبوليفار فإن علينا أن ننقب في صفحات التاريخ الإنساني عن أولئك القلة المعدودة

التي لا تتجاوز عشرة أو اثني عشر رجلاً ممن يعتبرون حقاً
عباقرة الحروب وأبطال المعارك ، ومن كان لسيوفهم أثر
سحري لا ينتهي بنهاية مواقع القتال وإنما تشع أضواؤها
باقية بعد ذلك ، إذ يكون في وسعها التصرف في فصاير
الشعوب أو الأجناس والدفع بها إلى تحولات جذرية
نبيلة سامية .



فما الذي ينقص شخصية بوليفار حتى تتأكد
مكانة اسمه في وعي العالم كله كما تأكدت
في وعي شعوبنا الأمريكية؟ لا شيء يمكن
أن يضيف جديداً إلى ما نعرف عنه أو يؤول وقائع التاريخ
وأحداثه تأويلاً يختلف عما استقر في أذهاننا وأصبح من
المسلمات . بوليفار قد أصبح الآن مثل معدن البرنز الباقي
الحالد ، فهو لا يزيد ولا ينقص ولا يتحول عن طبيعته .
وكل ما ينقصنا هو أن ترتفع القاعدة التي تحمل تمثاله .
ينقصنا أن نسمو نحن بأنفسنا حتى يمكن لاكتافنا أن تصلح
قاعدة لهذا التمثال الذي يستطيع أن يسامى تماثيل أعظم العباقرة
الأبطال ، ممن عرفهم العالم أكثر مما عرف بطلنا ، لا لأنهم
كانوا أسمى منه ولا أرفع ، وإنما لأن شعوبهم أصلب أكتافاً

وأطول قامة من شعوبنا ، فعرفوا كيف يوفونهم حقوقهم وينشرون مآثرهم. ولكن ساعة نضوج بلادنا وأخذها بنصيب في مضمار التقدم الحضارى قد دنت . وحينئذ ستأتى البناعة التى يعرف فيها العالم أجمع كيف يعطى بوليفار بما له . وكيف يثبت اسمه المجيد فى سجل عباقرة الإنسانية الخالدين.



بالنسبة لقارتنا الأمريكية فإن بوليفار سيظل دائماً فى ضمائر شعوبنا بطلها الأكبر بلا نزاع. فإن البطولة ليست رهينة بفضائل البطل وصفاته ومواهبه المجردة. وإنما هى مرتبطة بمدى الآثار التى تخلفها فى الجماعات والأمم ، وهناك لحظات بطولية لها من عمق الأثر الذى تتركه فى حياة الناس ما يجعلها نادرة الحدوث ، تماماً كندرة اللقاءات بين أجرام الفلك ، إذ هى لا تتم إلا مرات معدودات بعد دورات ربما استغرقت أزماناً طويلة متناهية .

وحينما تمضى عشرة قرون . وحينما تنشر من جديد تلك الصفحة المطلوبة من صحف الماضى البعيد من تاريخ بلادنا الأمريكية الممتدة من نهر « اناواك » إلى نهر « البلاتا » ... هناك حيث تكون الطبيعة على علاتها وفطرتها أو حيث تكون

الحضارة قد توطدت أسسها ... حينما تكون عشرات الأجيال
 قد تعاقبت واختلطت رفات عظامها بتراب الأرض وغبار
 الغابات التي تكون قد جددت أوراق شجرها ألف مرة ،
 وبدخان المدن التي تكون قد أعيد إنشاؤها وبنائها عشرين
 مرة ... وحينما يكون على هذه الأرض ناس لا ندرى من
 هم ولعل الرعب يملؤنا الآن لو تخيلنا صورهم الغريبة
 وتقدمهم المذهل في مضمار الحضارة بالنسبة لنا ... حينما يأتى
 ذلك الوقت ستكون ذكرى بوليفار مجيدة حية فى أذهان
 أولئك الرجال ، وسينظرون إليها كما ننظر نحن الآن إلى قمة
 جبل « سوراتا » المكلفة دائماً بالجليد ، إذ نرى فيها أعظم قمم
 جبال الأنديز ، سبرى هؤلاء كذلك أن قارتنا الأمريكية
 لم تنجب اسما أعلى ولا أرفع مكانة ولا أبقى ذكراً من اسم
 بوليفار!!:

حواش

(١) جبل «التشمبوراڤو» (El Chimborazo) هو أعلى قمة في سلسلة جبال الأنديز الغربية ، وهو يقع الآن في جمهورية إكوادور ويبلغ ارتفاعه ٦٣١٠ متراً .

(٢) فردريك هنريك اليكساندر المشهور بالبارون دى همبولت Baron de Humboldt (١٧٦٩-١٨٥٩) عالم ألماني اشتهر بتبحره في علم الجغرافية وبرحلاته واستكشافاته الكثيرة . ولد في برلين ودرس في الجامعات الألمانية وقام برحلات عديدة في أوروبا . وفي سنة ١٧٩٩ اضطلع برحلة طويلة من اسبانيا ليجول خلال قارة أمريكا اللاتينية . وبدأ جولته هناك بفنزويلا ثم كوبا وإكوادور وبيرو ، وتسلك جبل «التشمبوراڤو» حياً ، ٥٧٦٠ متراً ، ثم ختم رحلته بالمكسيك . وضمن نتائج رحلاته واستكشافاته في أمريكا اللاتينية كتاباً قيمة في وصف الجغرافية الطبيعية لبلاد هذه القارة .

(٣) شلال تكداما Salto de Tequendama يقع على بعد ٢٠ كيلو متراً إلى جنوب بوجوتا عاصمة جمهورية كولومبيا ، ويبلغ ارتفاعه ٢٦٤٠ متراً فوق مستوى سطح البحر وهو يعتبر من أروع المناظر الطبيعية التي يمكن تصورها .

(٤) خوسيه أنتونيو بايث José Antonio Paez (١٧٩٠ - ١٨٧٣) أول رئيس لجمهورية فنزويلا بعد انشقاق « كولومبيا العظمى » التي أنشأها بطل التحرير سيمون بوليفار وانقسامها إلى فنزويلا وكولومبيا الحالية وإكوادور وبوليفيا وكان قد انضم إلى حركة التحرير التي قادها بوليفار ، وسرعان ما ظفر بلقب « زعيم السهلين » الذي أطلق من قبل على القائد الإسباني الشجاع بوفيس . وكان هؤلاء يؤلفون أعظم كتائب التحرير بسالة واسماتة في القتال على فوضويتهم ونزعتهم إلى التمرد على كل سلطة . ولكن بايث عرف كيف يقودهم ويجعل منهم قوة فعالة منظمة من قوى الاستقلال وكان نجمه قد سطع منذ سنة ١٨١٦ حينما حقق سلسلة من الانتصارات على القوات

الاستعمارية الإسبانية ولكنه لم يعترف بالقيادة العليا لبوليفار إلا في سنة ١٨١٨ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح من أتباعه المخلصين . وهو الذي انتصر في معركة « كارابوبو » المشهورة وغيرها من المعارك على الجيوش الإسبانية. وفي نفس السنة التي مات فيها بوليفار (١٨٣٠) تحقق لفتريولا استقلالها الكامل ولكن الوحدة التي كان يدعو بوليفار لها بين البلاد الأمريكية تحطمت وتموت ، وانفصلت فتريولا عن أخواتها ، وحينئذ نودي بيباث رئيساً لجمهورية فتريولا وهو الذي قام بتنظيم السلطة في البلاد وتمهيد شئونها . ولكن الثورات والحروب الأهلية أدت به إلى المنفى ، ثم عاد ليتولى رئاسة الجمهورية للمرة الثالثة سنة ١٨٦١ ، غير أنه اضطر للتخلي عن منصبه إزاء القوضى السائدة في البلاد في سنة ١٨٦٣ ، ففرجه إلى نيويورك ، وقضى بها آخر سني حياته حتى توفي سنة ١٨٧٣ .

(٥) الفيكونت دي لاتورين Vicomte de la Turenne واسمه الكامل هو انرى دى لا تور دو فيرى Henri de la Tour d'Auvergne (١٦١١-١٦٧٥) عسكري فرنسي خدم منذ شبابه المبكر في هولندا ، واشتهر في الحرب المعروفة باسم « حرب الثلاثين سنة » ضد إسبانيا ، وهو الذي حرر الأندلس ، ومن أجل ذلك نودي به بطلا منذ عودته إلى فرنسا . وهو من الشخصيات العسكرية التي كان يكن لها نابليون إعجاباً كبيراً .

(٦) جورج واشنطن George Washington (١٧٣٢-١٧٩٩) أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية . ولد في فرجينيا ، وكان هو العقل المدبر لقوات التحرير التي ألحقت الهزيمة بالانجليز في ترنتون وبوكتاون (سنة ١٧٨١) وبعد تحرير بلاده قام بوضع دستورها السائد حتى اليوم ، وانتخب رئيساً للولايات المتحدة في سنة ١٧٨٩ وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٧٩٣ ثم اعتزل الحياة السياسية وانصرف للعناية بشئون ضيعته .

(٧) لازار هوش Lazare Hoche (١٧٦٨-١٧٩٧) قائد فرنسي تدرج في المناصب العسكرية في ظل الثورة الفرنسية ، وكان يعتبر من أعظم شخصيات هذه الثورة ، وهو قائد الحملة المشهورة إلى إيرلندا .

(٨) جان فيكتور مورو Jean-Victor Moreau (١٧٦٣-١٨١٣) قائد فرنسي اشتهر في أيام الثورة الفرنسية ، وكان منافساً لنابليون بونابرت . نفي بسبب تعاونه

مع المالكين ، وقتل في درسدن سنة ١٨١٣ وهو يقاتل جيوش بلاده ، وكان قد انخرط في صفوف القوات الروسية .

(٩) خوسيه دي سان مارتن José de San Martín (١٧٧٨-١٨٥٠) من أعظم أبطال تحرير أمريكا اللاتينية ، بل هو الذى يقام بوليفار شرف هذا اللقب الكبير ، ولو أن شخصيته لا تسمو إلى عبقرية بوليفار وجلالة اسمه كما سئرى في نفس المقارنة المستفيضة التي سيعقدها المؤلف عند تحليله لشخصيتي البطلين وأعمالهما .

وقد ولد سان مارتن من أبوين إسبانيين في ٢٥ من فبراير سنة ١٧٧٨ في إحدى قرى الأرجنتين الصغيرة . ثم انتقل به والده إلى إسبانيا وكان لا يزال في الثامنة من عمره ودرس في أحد معاهد مدريد المخصصة لأبناء النبلاء ، والتحق منذ شبابه المبكر بالخدمة العسكرية في الجيش الإسباني ، وشارك في بعض الحملات العسكرية الإسبانية ضد فرنسا أثناء احتلال نابوليون بوناپرت لإسبانيا بين سنتي ١٨٠٢ و ١٨٠٨ ، وأبلى بلاءاً حسناً في بعض هذه المعارك حتى إنه نال تقديرًا كبيراً من جانب رؤسائه ومن جانب الشعب الإسباني نفسه . وحينما أطلقت صرخة الدعوة إلى استقلال الأرجنتين عن إسبانيا كان سان مارتن قد قضى عشرين سنة من حياته العسكرية في خدمة الجيش الإسباني ، ومع ذلك فإنه لم يتردد في الاشتراك في أعمال الجمعيات السرية الأمريكية التي كانت تطالب بالاستقلال والتي كانت تجتمع في الخفاء في مدينة قادس . وفي سنة ١٨١١ تنازل طامعاً عن رتبته في الجيش الإسباني واعتزل الخدمة العسكرية وأثر العودة إلى بلاده الأرجنتين لكي يضع نفسه في خدمة قضية الاستقلال . وفي سنة ١٨١٢ عاهدت إليه الحكومة الثورية بتنظيم سلاح الفرسان . وفي سنة ١٨١٣ أحرزت الفرقة التي ألفها أول انتصار كبير لها على القوات الإسبانية في سان لورنثو على ضفاف نهر البارانا . وفي السنة التالية عهد إليه قيادة جيش التحرير ، وبفضله أعلن استقلال الأرجنتين رسمياً في ٩ من يولية سنة ١٨١٦ ، على أن الخطوة التي وضعها سان مارتن كانت تقتضي تحرير شيلي من السيطرة الإسبانية تأمناً لاستقلال الأرجنتين الوليد ، وهكذا اضطلع بمهمة شيلي الرائعة التي اخترق فيها جبال الأنديز والتي كللها بانتصار عظيم على الإسبان في معركة « تشاكابوكو » (١٢ من فبراير ١٨١٧) ، ومهد له هذا الانتصار طريق دخول العاصمة الشيلية « سانتياجو » . وعلى أثر ذلك انتخبه أهل شيلي قائداً وزعيماً لهم ، ولكنه اعتذر عن ذلك ، وعهد بحكم البلاد لقائد شيلي عمل تحت إمرته في معركة تشاكابوكو هو برناردو أو هيجيتز Bernardo O'Higgins وعاد سان مارتن إلى بوينوس آيرس ، وهو يعترم تحرير بيرو كذلك عن

طريق إنشاء أسطول قوى يستطيع السيطرة في مياه المحيط الهادى على السواحل الغربية لقارة أمريكا الجنوبية . ولم تكن شيلي قد تخلصت نهائياً من غزو القوات الإسبانية التي كان نائب الملك في بيرو يوجه بها إلى تلك البلاد ، ولهذا عاد سان مارتين إلى شيلي واستطاع أن يوقع بالجيش الإسباني هزيمة أخرى في معركة «مايو» في ٨ من أبريل سنة ١٨١٨ ، ورجع سان مارتين إلى بوينوس أيرس حيث ظل سنتين يحاول إقناع الحكومة بتمويل حملة لتحرير بيرو ، وبعد تردد طويل قبل مشروعه وبدأ تنفيذه في أواخر سنة ١٨٢٠ . وفي يولية سنة ١٨٢١ استطاع سان مارتين أن يجبر الحاکم الإسباني على مغادرة ليما وأن يعان استقلال بيرو ، وظل بعد ذلك في ليما لينظم حكومتها نحو سنة ، عقد بعدها اجتماعه التاريخي ببوليفار بين يومى ٢٦ و ٢٧ من يولية سنة ١٨٢٢ ، وفي هذا الاجتماع قرر سان مارتين أن يرحل عن ليما وأثر أن يترك ميدان بيرو لبوليفار لاعتقاده أن ذلك أصلح لقضية الاستقلال الأمريكي . بل إنه منذ هذا التاريخ اعتبر أنه أدى الرسالة التي نيطت به وقرر اعتزال الحياة العامة كلها . وفي ديسمبر سنة ١٨٢٣ غادر بلاده طائعا إلى أوروبا : إنجلترا ثم اسكتلندا ، وأخيراً استقر سنوات في بلجيكا ، وفي سنة ١٨٢٨ عاد إلى بلاده ليضع جهوده في خدمتها من جديد بعد أن بلغه نبأ نشوب الحرب بين الأرجنتين والبرازيل ولكن الحرب انتهت عند وصوله فواصل طريقه إلى بوينوس أيرس ، غير أنه رفض النزول إلى أرض بلاده حينما بلغه نبأ التراع بين حزبي البلاد الكبيرين وأنها بتنافس على ضمه إلى صفوف كل منهما . ولهذا فقد أثار المسير إلى مونتفيدو (أورجواي) حيث أمضى شهوراً عاد بعدها إلى منفاه في أوروبا ، واستقر هذه المرة في فرنسا حيث قضى آخر سنى حياته في بولوني حتى جاءه الموت في ١٧ من أغسطس سنة ١٨٥٠ .

(١٠) خوسيه خرباسيو أرتيجاس José Gervasio Artigas (١٧٦٤-١٨٥٠)

بطل استقلال أورجواي . ولد في مونتفيدو وظل حتى بلغ سن الثلاثين منصرفاً إلى أعمال الزراعة وتربية المواشى في ضيعة أبيه ، ولكنه في هذه السن بدأ اهتمامه بقضية بلاده ، وكرس لها جهوده ، حتى إن حياته أصبحت سلسلة متواصلة من الكفاح ضد الاستعمار الإسباني من ناحية ، وضد محاولات الحركة الاستقلالية الأرجنتينية ضم أورجواي إليها . وأخيراً استطاع أن يحصل على استقلال بلاده في سنة ١٨١٤ ، غير أن الحرب الأهلية التي شبت في البلاد بعد ذلك انتهت بهزيمة أرتيجاس ونفيه عن بلاده ، فاستقر في باراجواي منذ سنة ١٨٢٠ . وفي سنة ١٨٤١ دعى للعودة إلى أورجواي ، ولكنه أثار مواصلة اعتزاله للحياة السياسية ، فبقى في منفاه بأسونثيون (عاصمة باراجواي) حتى وفاته في ٢٣ من سبتمبر

سنة ١٨٥٠ ، وفى سنة ١٨٥٤ نودى بارتيجاس « مؤسساً للقومية الأورجوانية » . وهو يعتبر فى الحقيقة أول من نادى بالاستقلال الكامل فى أمريكا اللاتينية ، كما أنه أول من دعا إلى نظام الحكم الجمهورى الاتحادى (الفيدرالى) فى هذه القارة .

(١١) خوسيه توماس بوفيس José Tomas Boves (١٧٨٢-١٨١٤) محارب إسبانى الأصل ، قدم إلى فنزويلا فى نحو سنة ١٨٠٣ ، واستقر فى سهول فنزويلا حيث اشتغل بتجارة الماشية ، وحينما نشبت حرب الاستقلال انضم إلى صفوف المالكين الذين كانوا يقاتلون فى سبيل إبقاء سلطة الاستعمار الإشبانى . واستطاع على رأس ستة آلاف من السهلين جندهم تحت لواء الملكية الإشبانية أن يلحق بالوطنين المدافعين عن قضية الاستقلال هزائم كثيرة منكرة ، وكان معروفاً بشدة البأس والقسوة والصرامة المتناهية . وأخيراً قتل فى إحدى المعارك فى سنة ١٨١٤ .

(١٢) « الكيادس » (٤٥٠-٤٠٤ ق.م .) سياسى وقائد إغريقى قديم كان هو الذى جر أهل أثينا إلى الحرب ضد صقلية ، وهى الحرب التى كانت كارثة على الأثينيين إذ انتهت إلى فشل ذريع . أما الكيادس فقد تأمر عليه أعداؤه وأحرقوه فى داره . وكان الكيادس من أشهر ساسة الإغريق القدماء وأعظم خطبائهم .

(١٣) خوان مارتين جوميس Juan Martin Güemes (١٨٧٥-١٨٢١) قائد عسكري أرجنتينى كان له دور كبير فى حرب الاستقلال ، وهو الذى كان يضطلع بقيادة فرسان السهول المعروفين باسم « الجاوتشوس » ، دخل المدرسة العسكرية وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، واشترك فى القتال ضد الحملات الإنجائزية التى هاجمت الأرجنتين ، ثم انخرط فى الجيش الثورى الذى قاتل ضد الإشبان ، وهو الذى قام بتنظيم جيش المقاومة فى منطقة سالتا Salta ، معاوناً جيش مانويل بلجرانو المعسكر فى توكومان ، كما شن حرب العصابات ضد جيش الجنرال الإشبانى الملكى لاسيرنا La Serna ، وقدم بذلك أكبر معونة للحركة الاستقلالية . وأصبح يعتبر بطل منطقة سالتا التى عهد إليه بحكمها بعد تحرير الأرجنتين ، وكان ذا أفكار إصلاحية اجتماعية حتى إنه أطلق عليه لقب « أبى الفقراء »

(١٤) مانويل بلجرانو Manuel Belgrano (١٧٧٠ - ١٨٢٠) من أبطال تحرير الأرجنتين ، وهو الذى قاد المعارك التى دارت فى سالتا وتوكومان . ولد فى بوينوس أيرس حيث بدأ دراسته ثم انتقل إلى إسبانيا فأكمل تعليمه بجامعة سلمنكة ، وتخرج فيها محامياً ، فاشتغل بالقضاء والاقتصاد ، ثم اشترك منذ سنة ١٨١٠ فى

حرب التحرير ، وتوالت انتصاراته وإن كان اقائد الإسباني بيثولا **Pezuela** قد ألحق به كذلك هزائم فادحة مما جعل سان مارتين يتولى القادة بنفسه ومع ذلك فان اضطلاع سان مارتين بالقيادة لم يثر في نفسه أى تدمير ، بل قبل وضعه الجديد في تواضع وانقياد ، وقد كان بلجرانو هو الذي حث سان مارتين على إعلان الاستقلال الكامل في وينيقي ٥ من يولية و ٢٩ من يولية من السنة المذكورة. وبعد الاستقلال عهد إلى بلجرانو بقيادة الجيش الجمهورى الجديد شمال الأرجنتين ، وظل في هذا المنصب حتى وفاته في ٢٠ من يولية سنة ١٨٢٠ .

(١٥) خوسيه رونلو **José Rondeau** (١٧٧٣-١٨٤٤) قائد عسكري ووطى من قواد الحركة الاستقلالية في أوجواي . بدأ حياته في مونتفيدو محارباً ضد الإنجليز الذين احتلوا هذه المدينة في سنة ١٨٠٧ ، ولكنه أسر وحمل إلى إنجلترا ، ثم أطلق سراحه وعاد إلى بلاده ، وحينما قامت الثورة من أجل الاستقلال عن إسبانيا التحق بالحركة الوطنية ، وعين قائداً للمنطقة الشرقية ، وحاصر مونتفيدو مرتين ، وأحرز على القوات الإسبانية انتصاراً كبيراً في معركة « الثريتو **El Cerrito** » التي رقى بعدها إلى رتبة « جنرال » . وفي سنة ١٨١٤ عين قائداً لمنطقة بيرو العليا ، وتنقل في مناصب عسكرية مختلفة من بينها وزير الدفاع والبحرية ، ثم انتخب حاكماً وقائداً عسكرياً لجمهورية أوجواي الشرقية ما بين سنتي ١٨٢٨ و ١٨٣٠ ، وظل يتولى عديداً من المناصب حتى وفاته في مونتفيدو سنة ١٨٤٤ .

(١٦) ماريانو مورينو **Mariano Moreno** (١٧٧٨-١٨١١) يعتبر بحق روح الثورة الأرجنتينية ، وإن كان قد توفى وهو في الثانية والثلاثين من عمره ، وكان ابن فلاح إسباني متواضع استقر في بوينوس أيرس ، واشتغل بالمحاماة بعد إنهاء دراسته ، وكان من دعاة تحرير الهنود وإصلاح أوضاعهم ، وحينما اشتعلت الثورة الاستقلالية في مايو سنة ١٨١٠ عين أميناً عاماً لأول هيئة تحكم البلاد في ظل راية الاستقلال ، وحينئذ بدت مواهبة كحاكم ومشروع وحرك لجيوش الاستقلال ، ومن أهم أعماله ترجمته الإسبانية وتقدمه لكتاب « العقد الاجتماعي » لجان جاك روسو ، وإنشائه للمكتبة الوطنية في بوينوس أيرس ، فضلاً على دفاعه عن حريات بلاده المكتسبة بفضل الاستقلال ، وصموده لكل الانحرافات التي لحقت الثورة التحريرية بعد ذلك ، وقد عهد إلى ماريانو مورينو بمهمة دبلوماسية في لندن ، ولكنه توفى وهو على الباخرة في الطريق إلى إنجلترا بعد حياة حافلة وضعها في خدمة ثورة بلاده واستقلالها .

(١٧) كارل الثاني عشر Karl XII (١٦٨٢-١٧١٨) ملك السويد ، ولي العرش وهو في الخامسة عشرة من عمره ، وما لبث أن تحالفت ضده روسيا وبولونيا والدانمارك استهتاراً بشأنه واستضعافاً له إذ غر هذه الدول منه صغره ، ولكنه كان ذا مواهب عسكرية فائقة تجلت بمجرد صعوده على عرش المملكة ، كما أنه كان ذا مقدرة استثنائية على الصمود ، فسارع إلى جمع قواته وهزم جيوش الدول المتحالفة الثلاث كلها جيشاً بعد جيش ، بل إنه تمكن من دخول وارسو وكوبنهاجن ، وعرض قبض روسيا الصلح عليه ، ولكنه رفض وصمم على غزو روسيا نفسها ، غير أن حملته انتهت بتحطيم جيشه في بولتافا (سنة ١٧٠٩) ، واضطر كارل الثاني عشر إلى الهرب واللجوء إلى تركيا ثم هرب بعد ثلاث سنوات ، وعاد إلى بلاده لكي يحررها من حملات الطامعين فيها في غيابها ، فلما تم له ذلك بدأ يستعد من جديد للاستيلاء على البرويج وغزو إنجلترا ، لكنه قتل أثناء حصار فريدر يكشال .

(١٨) جوستاف فلوير Gustave Flaubert (١٨٢١ - ١٨٨٠) كاتب روائي يعتبر من أساتذة المدرسة الواقعية . ومن أهم رواياته المشهورة « ميدام بوفازي » و « رسائله » ، ويعتبر من أساتذة فلسفة الجمال ومن أكبر الروائيين الفرنسيين الملتزمين إلى المدرسة الواقعية الطبيعية مثل جى دى موباسان وإميل زولا .

(١٩) إيمانويل كانت Emmanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) هو الفيلسوف الألماني المشهور .

(٢٠) خوان مانويل دي روساس Juan Manuel de Rosas (١٧٩٣ - ١٨٧٧) قائد عسكري وسياسي أرجنتيني بدأ حياته بالحمل في التجارة واستغلال الضياع التي آلت إلى ملكه حتى حصل من ذلك على ثروة طائلة أما مساهمته في الحياة العامة فلم تبدأ إلا في سنة ١٨٢٠ حينما تولى تنظيم فرق عسكرية عملت على إقرار الأمن في بوينوس أيرس خلال الفوضى التي ضربت أطنابها في البلاد في مستهل عهدها بالاستقلال ، كذلك تولى قيادة الجيش الذي أوقع بالهنود الحمر ، واستأصل كثيراً من جماعاتهم في قسوة شديدة . وفي سنة ١٨٢٨ اشترك في الصراع السياسي الدائر في الأرجنتين حينئذ . وفي السنة التالية انتخبه المجلس النيابي حاكماً لمقاطعة بوينوس أيرس اعترافاً بما أبداه من الحزم والصرامة . وفي سنة ١٨٣٣ قاد حملة أخرى ضد الهنود متزعماً منهم أراض جديدة . وفي السنة التالية انتخب مرة أخرى حاكماً لمقاطعة بوينوس أيرس ولم يقبل هذا المنصب .

إلا بعد أن اشترط منحه سلطات استثنائية. ومنذ ذلك الوقت حكم البلاد حكماً إرهابياً شديداً الوطأة ، فتعقب خصومه السياسيين ونكل بهم أشنع تنكيل. واستمر حكم روساس الدكتاتوري حتى سنة ١٨٥٢ حينما أطاحت به ثورة عسكرية وشعبية عارمة . واضطر روساس إلى الهرب من البلاد على ظهر سفينة انجليزية إلى إنجلترا ، وعاش منذ ذلك الوقت في منفاه قرب سوثامبتون نحو خمس وعشرين سنة حتى وفاته سنة ١٨٧٧ .

(٢١) جوزيبي مازيني Giuseppe Mazzini (١٨٠٥ - ١٨٧٢) (بطل من أبطال تحرير إيطاليا وتوحيدها . بدأ حياته السياسية بالانضمام إلى الجمعية السرية المعروفة باسم « الكاربوناري » التي كانت تكافح في سبيل وحدة إيطاليا . وقبض عليه وسجن في سنة ١٨٣٠ ، ثم نفي عن إيطاليا فتوجه إلى مرسيليا حيث أسس جريدة « إيطاليا الفتاة » ، ثم انتقل إلى سويسرا ، ومنها حاول أن يقوم بغزو إيطاليا ، ولكن حملته فشلت ، فتوجه إلى إنجلترا بعد طرده من إيطاليا . وفي سنة ١٨٤٨ عاد إلى بلاده بعد أن اشتعلت فيها ثورة فيزابر المشهورة . ولما أعلنت الجمهورية في إيطاليا كان من بين الثلاثة الذين تولوا رئاسة الحكم الجمهوري ، ولكن هذه الحكومة فشلت ولو أن الوحدة الإيطالية التي كافح طويلاً في سبيلها قد تحققت أخيراً لا تحت لواء الجمهورية وإنما في ظل النظام الملكي . غير أن مازيني عاود العمل من أجل إسقاط الملكية مما أدى إلى القبض عليه إثر محاولة انقلاب فاشلة في سنة ١٨٧٠ ، وتوفي بعد ذلك بستين . ومازيني ما زال يعتبر من أعظم قادة إيطاليا الوطنيين المخلصين .

(٢٢) ما سيمو تاباريللي D'Azeglio Massimo Taparelli (١٧٩٨-) ١٨٦٦ (كاتب سياسي إيطالي كان من أعظم الدعاة إلى الأفكار التحررية . اشترك في ثورة سنة ١٨٤٨ وفي الحرب ضد النمسا . وبعد الحرب تولى التمثيل النيابي لجزيرة سردينيا ، وعهد إليه برياسة الوزارة الملك فيكتور إيمانويل الثاني ، فوطد النظام الديمقراطي ، ثم ترك الحكم في سنة ١٨٥٢ لوزير ماليته السياسي العظيم كافور ، وكان أديباً نشرت له مجموعات من المقالات والروايات .

(٢٣) روفينوبلانكو فومبونا Rufino Blanco Fombona (١٨٧٤ - ١٩٤٤) كاتب مؤرخ شاعر من فترويلا متعدد جوانب الثقافة شارك في سياسة بلاده ، فكان من خصوم النظام الدكتاتوري الذي فرضه على فترويلا خوان فيثني جومث . واضطرته عداوته لهذا النظام إلى مغادرة بلاده ، فعاش سنوات طويلة في فرنسا وإسبانيا حيث

أنشأ دار نشر كبيرة أطلق عليها اسم أمريكا ، وكان لها نشاط كبير ولا سيما في توثيق العلاقات الثقافية بين إسبانيا وقارة أمريكا اللاتينية . وقد علت منزلته في إسبانيا حتى إنه عهد إليه بحكم بعض مقاطعاتها في ظل الجمهورية الثانية المعلنة في إسبانيا سنة ١٩٣٠ . ثم عاد في أواخر عمره إلى بلاده حيث عهد إليه بحكم ولاية ميراندا في ظل الرئيس الجنرال لوبث كونتريراس . وبلانكو فومبونا وزير الإنتاج ، له أكثر من أربعين كتاباً من أهمها « الفاتح الإسباني في القرن السادس عشر » و « التطور السياسي والاجتماعي لأمريكا الإسبانية » و « رجل من ذهب » و « رجل من حديد » و « المدرسة الجديدة والشعراء المحدثون » و « قصص أمريكية » و « ديوان غنائي صغير » وغير ذلك مما يسمح باعطاء فكرة عن مدى تنوع ثقافته وتشعبها .

(٢٤) يشير الكاتب هنا إلى ذلك اللقاء التاريخي الذي تم بين سيمون بوليفار وسان مارتين محرر الأرجنتين خلال يومي ٢٦ و ٢٧ من يولية سنة ١٨٢٢ ، وذلك بعد المسيرة الطويلة التي بدأها بوليفار من كاراكاس بعد تحريرها من الجيوش الإسبانية في مارس سنة ١٨٢٢ متوجهاً إلى الغرب ثم متخذاً جبال الأنديز الشاخطة ونازلاً إلى الجنوب لتحرير إكوادور . وكان يرافق بوليفار في هذه المسيرة الأسطورية أحد أعظم قواده المخلصين : « سوكري » والتحم بوليفار خلالها بالجيوش الإسبانية في معارك كثيرة كان النصر حليفه فيها ، واستطاع أن يضم كيتو عاصمة إكوادور إلى دولة « كولومبيا الكبرى » التي كان له فضل إنشائها . ثم واصل السير إلى جوابا كيل Guayaquil التي كانت يبرو تطالب بضمها إليها ، ولكنه مضى في طريقه محالوا ضمها إلى الجمهورية الجديدة . وفي هذا الوقت وصل إلى هذه المدينة سان مارتين بطل تحرير الأرجنتين ، واستقبله بوليفار بحفاوة عظيمة ، ويتم لقاء البطلين بين ٢٦ و ٢٧ من يولية سنة ١٨٢٢ ، ولا يعرف أحد ما الذي دار في هذا اللقاء التاريخي ، إذ أنه تم بينهما منفردين ، غير أن الذي تعرفه بعد ذلك هو أن سان مارتين قرر بعده ترك الميدان لبوليفار والانسحاب من يبرو ، وهكذا ضمت جوابا كيل رسمياً إلى جمهورية كولومبيا الكبرى . ويبدأ بوليفار منذ ذلك اللقاء حملته الكبيرة لتحرير يبرو .

(٢٥) بلتاسار جراثيان Baltasar Gracian (١٦٠١ - ١٦٥٨) كاتب وفيلسوف إسباني مشهور : كان من رجال الدين من طائفة اليسوعيين (الجيزويت) . وأعظم كتبه وأشهرها « البطل » (El Héroe) الذي يعتبر من أعظم الدراسات الفلسفية والأخلاقية ، وفيه يتحدث عن نماذج البطولة وأنواعها ويحلل نفسيات الأبطال

تحليلاً رائعاً . وقد كتبه رداً على كتاب مكيا فيلى المعروف « الأمير » . ولجرائان كذلك رواية فلسفية بعنوان « الناقد » (El Crítico) وقد أثبت النقد الحديث أنها متأثرة تأثراً كبيراً برواية الفيلسوف الأندلسي المشهور ابن طفيل صاحب رسالة « حي بن يقظان » (٢٦) الألب جيوم رينال Guillaume Raynal (١٧١٣-١٧٩٦) فيلسوف ومؤرخ فرنسي ، من أشهر إنتاجه كتابه عن « تاريخ المستعمرات والمنشآت الأوربية في جزر الهند الشرقية والغربية » .

(٢٧) جان فرانسوا مارمونتيل Jean François Marmontel (١٧٢٣ - ١٧٩٩) أديب فرنسي اهتم بتاريخ أمريكا اللاتينية والحضارات الهندية القديمة فيها ومن أهم مؤلفاته كتابه عن شعب « الإنكاس » (الشعب الهندي الذي كان يعيش في بيرو قبل الفتح الإسباني) ، ومذكراته التي كتبها لتأديب أبنائه ، وقد نشرت هذه المذكرات في سنة ١٧٩٨ .

(٢٨) جابريل بونو دي مابلي Gabriel Bonnot de Mably (١٧٢٣-١٧٩٩) فيلسوف ومؤرخ فرنسي من أهم مؤلفاته كتاب عن « القانون العام في أوروبا » و« ملاحظات حول تاريخ فرنسا » .

(٢٩) الجيرونديون والجلبيون اسما طائفتين برلمائيتين من الطوائف الثورية التي كانت ممثلة في الجمعية التشريعية في سنتي ١٧٩١ و ١٧٩٢ بعد اندلاع الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩ ، وكان الجيرونديون يمثلون الفكرة الجمهورية البمينية المتطرفة ، بينما كان الجلبيون يمثلون اليسار المتطرف تحت زعامة الإرهاني المعروف روبسيير .

(٣٠) أجوستين إيتوربيدي Agustín Iturbide (١٧٨٣-١٨٢٤) دكتور المكسيك الذي أعلن نفسه امبراطوراً على هذه البلاد بعد استقلالها عن إسبانيا ، بدأ حياته عسكرياً واشتهر بالقسوة المفرطة ، واستطاع بالخداع والتآمر ان يوحم الشعب بأنه يعمل على تحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية الإسبانية ، فلما تحقق الاستقلال إذا به يعلن النظام الملكي ويفرض نفسه ملكاً ثم إمبراطوراً في ٢١ من يولية سنة ١٨٢٢ . واعتب ذلك أن حل البرلمان وفرض حكماً إرهابياً مطلقاً ، فاندلعت ضده الثورات الشعبية في جميع أنحاء البلاد ، وهكذا اضطر إيتوربيدي إلى إعادة البرلمان والتخلي عن العرش ، وأعقب ذلك نفيه عن البلاد ، ولكنه في فبراير سنة ١٨٢٤ وكان في لندن أبامها أعلن عزمه على العودة

إلى المكسيك ليستعيد السلطة . وفي ١٥ من يولية عاد بالفعل . فقبض عليه في اليوم التالي لوصوله ، ونفذ عليه حكم الإعدام الصادر فيه في ١٩ من يولية سنة ١٨٢٤ .

(٣١) يشير الكاتب هنا إلى حديث اسطوري ورد في التوراة عن ابني النبي إسحق من زوجته « ريبكا » ، وهما يعقوب (إسرائيل) وعيسو ، وكانا توأمين ، وقد دب بينهما نزاع شديد حول من كان منهما أحق بأن يعتبر اكبر إخوته ، إذ كان الأخ الأكبر هو الذي يعتبر وارث أبيه وولي عهده . ويذكر الحديث الأسطوري أن الشجار كان قد بدأ بينهما وأمهما بعدا حامل بهما .

(٣٢) خوسيه ماريا أوباندو José María Obando (١٧٩٥-١٨٦١) بدأ حياته ضابطاً عسكرياً في خدمة الجيش الإسباني الملكي ، فلما أعلن بوليفار الثورة انضم إلى قواته الجمهورية وأصبح من أعوان بوليفار وقواده ، وأبدى بسالة مذكورة في بعض المعارك التي قادها بطل التحرير ، ولكنه ثار على زعيمه في سنة ١٨٢٨ في منطقتي لاديرا Ladera وبوبايان Popayán ، وهزم الجيوش التي وجهت لقتاله في أول الأمر ، ولكن تمردته انتهى إلى الفشل . ولما اشتعلت الحرب بين كولومبيا وبيرو رقى إلى نائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش الكولومبياني ، ثم عين قائداً للجيش في الحرب التي دارت ضد إكوادور . وفي سنة ١٨٣١ عين نائباً لرئيس جمهورية البلاد . وفي سنة ١٨٣٩ أعلن الثورة على الرئيس ماركيث ، ولكنه هزم ونفى عن البلاد حتى سنة ١٨٤٨ ، وتقلب في عديد من المناصب العسكرية والمدنية حتى انتخب رئيساً للجمهورية في سنة ١٨٥٣ ، ولكن ثورة مسلحة أطاحت بحكمه وقضت بنفيه عن البلاد من جديد ، وفي سنة ١٨٦٠ عاد إلى البلاد . ولكنه قتل في إحدى المعارك .

(٣٣) انتونيو خوسيه دي سوكري Antonio José de Sucre (١٧٩٥ - ١٨٣٠) قائد عسكري وطني فترولي ، ولد في كوماننا ، وانضم إلى جيوش أول ثورة وطنية على الاستعمار الإسباني ، وهي الثورة التي أعلنها فرانسكو ميراندا في سنة ١٨١٠ ، وفي سنة ١٨١٢ عمل تحت قيادة ميراندا ، ثم تحت قيادة انتونيو نارينيو Antonio Narino وفي سنة ١٨١٣ انضم إلى بوليفار حينما اقتحم كاراكاس . ومنذ ذلك التاريخ أصبح من أكثر أتباعه إخلاصاً له وإيماناً بقضية الثورة التحريرية الكبرى وعهد إليه بوليفار بقيادة جيش كولومبيا الذي توجه إلى بيرو وإكوادور ، وهناك أحرز على القوات الإسبانية انتصارات عظيمة مثل انتصار بشتشا Pichincha الذي ترتب عليه تحرير إكوادور

من الحكم الإسباني كذلك اشترك في معركة « خونين Junin » . ثم عهد إليه بوليفار بقيادة الجيش الذي قدر له انتصار كبير في معركة أياكوتشو (٩ من ديسمبر سنة ١٨٢٤) ، وكان هذا الانتصار فاصلاً حاسماً في استقلال بيرو وبوليفيا ، ومن أجله أطلق على سوكرى لقب « ماريشال أياكوتشو العظيم » . وعلى أثر ذلك تألفت من منطقة بيرو العليا دولة جديدة هي التي عرفت بعد ذلك باسم « بوليفيا » (نسبة إلى بوليفار) ، وانتخب سوكرى رئيساً لهذه الدولة ، ولكن الأمر لم يستقر له . إذ بدأت المؤامرات والثورات العسكرية المسلحة تحاك ضده بل إنه تعرض للاغتيال مرة وهو يحاول تهديد المتمردين . وفي ٤ من مايو سنة ١٨٢٨ انسحب من بوليفيا متوجهاً إلى بلده فنزويلا معلناً تخليه عن السلطة نهائياً في وثيقة تصور مدى زهده ووطنيته . ولكنه وهو في طريقه إلى كيتو (إكوادور) وفي نفس المكان الذي دعى منه لكي يتولى رئاسة جمهورية بوليفيا على جبل بيرو بكرس من جبال الأنديز ترصدت له جماعة من المتمردين واغتالته في ٤ من يونيو سنة ١٨٣٠ ويعتبر سوكرى من أعظم رجال الثورة الأمريكية وأكثرهم إخلاصاً ونضحية في سبيل قضية التحرير .

(٣٤) توماس نيريانو موسكيرا Tomás Cipriano Mosquera (١٧٩٨ - ١٨٧٨) عسكري وسياسي من كولومبيا كان من أعوان بوليفار ، واشترك في الصراع السياسي الذي دار في البلاد والذي أدى إلى تمزق الدولة الموحدة التي أسسها بوليفار باسم « جمهورية كولومبيا الكبرى » (والتي كانت تضم فنزويلا وكولومبيا الحالية وبيرو وإكوادور وبوليفيا) . وفي سنة ١٨٤٥ ولي رئاسة الجمهورية ، ثم أبعد عن الحكم وفي سنة ١٨٥٩ أعلن الثورة على حكومة ماريانو أوسيبينا وولى رئاسة الجمهورية من جديد حتى سنة ١٨٦٤ . وأعيد انتخابه في سنة ١٨٦٦ ، غير أنه أراد أن يفرض حكماً دكتاتورياً على البلاد ، فوقع انقلاب عسكري أطاح به في ٢٣ من مايو سنة ١٨٦٧ . وغادر البلاد على أثر ذلك ، فشغل بعض المناصب الدبلوماسية في فرنسا وإنجلترا . وفي سنة ١٨٧٢ رجع إلى كولومبيا حيث اشترك في أحداثها السياسية حتى وفاته سنة ١٨٧٨ .

المؤلف فى سطور :

خوسيه إنريكي رودو

مؤلف هذا الكتاب هو الأديب والمفكر خوسيه إنريكي رودو (١٨٧١-١٩١٧) الذى ولد فى مونتفيدو عاصمة جمهورية أورجواى، وتوفى فى بلرمو (جزيرة صقلية)، وهو يعد من أعلام الأدب والسياسة فى بلده، وتعد كتابته من أجمل نماذج النثر الإشباني. وكتابه عن بوليغار ليس ترجمة لحياته، وإنما هو تحليل عميق للامح العبقريّة فى فكره وسلوكه.

المترجم فى سطور :

أ.د محمود على مكى

هو الدكتور محمود على مكى أستاذ الأدب العربى الأندلسى والإشباني فى جامعة القاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية . له دراسات كثيرة حول الأدب والتاريخ الأندلسى، وأبحاث وترجمات للعديد من الآثار الأدبية من إسبانيا ومختلف بلاد أمريكا اللاتينية. وقد ألحق بترجمته لكتاب «بوليغار» مقدمتين حول سيرة البطل الفنزويلي والأديب الأورجواني صاحب الكتاب .

المركز القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة



الإشراف اللغوي : عبد الرحمن حجازي

الإشراف الفني : حسن كامل

تصميم الغلاف : عبد العزيز السماحي